
دراسات في أصول الدين
النبوة
دراسة معاصرة
تأليف
السيد ابو القاسم الديباجي
دار الثقلين - لبنان
دراسات في أصول الدين

دراسات في أصول الدين



تأليف
السيد ابو القاسم الديباجي


بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

الى من ربَّيت في حجره صغيراً فألقمني
حبَّ الاسلام وأهله.
اى من تعهَّدني بالتربية والتعليم
حتى نشأت مولعاً بحبِّ النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم
وأهل بيته الطيِّبين الأطهار عليهم السلام
الى أبي حجَّة الاسلام السيّد نصرالله الديباجي رحمه الله
أُهدي هذا الجهد المتواضع.

المؤلّف

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله أبلغ درجات الحمد وغاياته، والثناء عليه أقصى مراتب الثناء ونهاياته، والصلاة والتسليم على النبي الامين، والرحمة الكبرى المهداة الى العالمين، محمد بن عبدالله ﷺ وعلى أهل بيته المعصومين، نجوم الهدى، وسفن النجاة، ورحمة الله وبركاته.

وبعد:

فلا مناص من القول بان في أن يمخر الباحث أو الكاتب عباب مباحث دقيقة ومختصة تتناول مواضيع حساسة ترتكز عليها الشريعة الاسلامية، وتقوم على دعاماتها الفارهة - كما في مبحثنا هذا المختص بأصول الدين - يعد بحق من المهام الشاقة والعسرة التي تستدعي بالمرء مزيد بحث، وكثرة نقصٍ واستجلاء، وشدة تأمُّل وتدبُّر، لما تشكَّله دراسته هذه من تعرض استشرافي لأمور ومواضيع لا يمكن للانسان أن يستظل إلاّ بظلها الوارف، ولا يرتوي إلاّ من عذب مائها الغدق الفياض.

نعم، واذا كنا قد أخذنا على أنفسنا - بعد الاتكال على الله تبارك وتعالى واستمداد العون منه - أن نخصص جانباً من مؤلَّفاتنا بتناول حلقات متسلسلة ومتواصلة لدراسات ميسرة مختصة بأصول الدين، وحيث وفَّقنا الله جل شأنه لانجاز مبحثين منها اختص أولهما بأصل التوحيد، حين اختص ثانيهما بأصل العدل، وضمن ما أسميناه بدراسات في أصول الدين، فانا سنحاول في كتابنا هذا تناول الاصل الثالث من أصول الدين وهو (أصل النبوة) متوخين قدر الامكان الاحاطة بأهم الموضوعات الاساسية المرتبطة بهذا المبحث الهام، متجاوزين الاسفاف والاطناب المملين ما قدرنا على ذلك، وما التوفيق إلاّ من قبل الله العزيز الحكيم.

المدخل

لقـد كان في خلف البشرية منـذ أيامها الأولى الايذان الحتمي بقيـام المواجهة الطبيعية بين عنصري التناقض في عموم الحياة والمتمثلين بالخير والشر، وما يتفرع عنهما، ويرتبط بهما.

ولا غرو في ذلك، فان الحياة برمتها تشكِّل مزيجاً واضحاً من جملة واسعة من التناقضات التي يعدو كل واحد منها خلف الآخر لقهره والاستحواذ على المساحة التي كان يحتلها نقيضه.

فالنهـار يعدو دائماً خلف الليل ليحيل الظلام - الذي تتجلبب السـماء بسـتاره المعتم الكالح - الى ضوء مشرق، وسماء باسمة.

والمـرض تـراه يطارد الصحة ليحيلها الى خواء وانهدام وتلاش، فتسـتجير حـين ذاك بما يعينها على مواجهة هذه الازمة التي تحاول الاطباق عليها، والقضاء على وجودها.

وكذلـك همـا الخير والشر، فانهما على طول الحياة النقطتان الاكـبر وضوحاً في هذا الصراع الدائمي الـذي لا ينفـك، والـذي أشرنا اليـه، والذي اصبح الانسـان ميداناً رحبـاً يتصارع الاثنـان من خلاله للبقـاء، فيحلق بذلك الانسـان مع الاول، وينحـط في هاوية الهلاك والعذاب مـع الثاني، وهو واضح ومعلوم للجميع.

ولمـا كان الانسـان صالـح رسـالة في الارض، وخليفـة الله تبـارك وتعالى فيهـا، فكان لابـد من ان تكـون المهمة الملقاة على عاتقه شـاقة وعسرة تتطلب منه الكثير من الوعـي والمعرفة والادراك لمواجهة معضـلات الحياة ومزالالقها التـي تواجه دعواه، وتقف أمامها كالطود المتثاقل الكبير، والتي قد يبدوا أمامها ذلك الانسان عاجزاً ضعيفاً متخاذلاً لا يمكنه زحزحتها، أو حتى المرور من أحد جوانبها.

ومـن هنا فقد كان أحوج ما يكون اليه من العون السـماوي الكبير لتجـاوز حلقات الاحباط هذه، ولمواصلة مسيرته المتدافعة التي أمر بها، وألزم بوجوب ادائها.

نعـم، فـاذا كان الانسـان خليفة لله تعـالى في أرضه، وصاحب رسـالة سـامية وعظيمـة أنيطت بها مسـوولية بنـاء الارض، ونـشر الخير في ربوعهـا، ومواجهة عناصر الـشر والفسـاد المنزوية في جحور الظلمـة والعتمـة، والمتدبصة الخير وأهلـة الدوائر، وباصرار وتعنت ثابتين، فـان كل ذلك يتطلب منه ذلك، وذلك المدد والتسـديد السـماوي، والمتمثل بالرسـالات السـماوية المباركة التي جاءت متلاحقة تـترى عـلى البشرية عبر قنوات مسـتخلصة ومصطفاة من عمـوم البشر لما لهم من صفـات وامتيازات خاصة توهلهم للتصدي بجدارة لهذه المسؤولية العظيمة التي تمثل ارادة الباريء جل اسمه بعباده.

نعم، ان هذه الحلقة المقدسـة الكـبرى هي حلقة النبوة المباركة، الممثلـة لخيط الاتصال المقدس بين الخالق ومخلوقه في مسير البشرية السليم صوب مرافيء الامان وباحات الاطمئنان الكبرى.

ولا يخفـى على أحـد ان هذه الحلقة الكبرى تمثـل ثالث حلقات الاعتقادات الاسـلامية في اصولها الثابتة، أي بعد مسـألتي التوحيد والعدل، وقبل الامامة والميعاد يوم القيامة، وهذا ما سـنحاول سوية سبر بعض أغواره في صفحات كتابنا هذا باذن الله تعالى.

هـذا وقد عمدنـا في كتابنا هذا الى تناول موضوع النبوة ضمن الابواب التالية التي تتفرع عنها جملة متفرقة من الفصول والمفردات المتصلة بها، والممتدة من خلالها:

الباب الاول: التعريف بالنبوة وعلة بعث الانبياء والحاجة اليهم.

الباب الثاني: خصائص الأنبياء وأهدافهم.

الباب الثالث: التعرُّض لحقائق الأنبياء أولي العزم.

الباب الرابع: النبوة الخاصة وبحوث حول النبي الاكرم محمَّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم.

سـائلين المـولى جل اسـمه ان يفيد بهذا الكتاب مـن يطالعه، وان يجعلـه ذخراً لمؤلفه يـوم تنشر فيه الصحف، وتقام فيه الموازين، وما الاستعانة إلاّ بالله العزيز الحميد.

الباب الاول

التعريف بالنبوة
وعلة بعث الانبياء
والحاجة اليهم

الفصل الأول

حوار حول النبوة

الحديث عن أصل النبوة في المعتقدات يعني بوضوح جلي الايمان بان الله تبارك وتعالى لم يخل عصر من عصور حياة البشرية – منذ خلقها وحتى ختمت برسول الله محمد بن عبدالله ﷺ – من نبي أو أنبياء يحملون رسالاته تعالى الى الناس ابتغاء لارشادهم نحو التكامل والسعادة، وحتى يكونوا عليهم بعد تفريطهم واسرافهم وفسادهم حجة يوم القيامة، ليثاب من آمن واهتدى، ويعاقب من أسرف وبغى.

والنبوة في اللغة: هي الانباء أو الاخبار عن الله عز وجل.

وفي الاصطلاح: يُراد بالنبي الانسان المخبر عن الله جل اسمه بغير واسطة بينه وبين الله تعالى.

ولا شك بان هذا الوساطة بين الله تبارك وتعالى، وبين عباده – بواسطة صفوة منتجبة منهم، اصطفاهم سبحانه واختارهم وبعثهم ممثّلين عنه، وحاملين رسالته اليهم، فهدوا من ابتغى الهداية الى سبل النجاة، ومعرفة خالقهم، واتباع طاعته، وتجنُّب معصيته، وكانوا حجة على من عصى يوم القيامة، حيث لا لبشر حينئذ حجة يحتج بها لتسويغ معصيته، وتبرير انحرافاته – هي وساطة تستهدف توعية الشعور الديني الفطري في نفوس البشرية، وتركيز العقائد السماوية الصالحة في نفوسهم، والأخذ بيدهم صوب سبل النجاة، ومراكز الأمن والأمان[1].

ومن هنا فقد تواصلت رسل الله تبارك وتعالى الى عباده تترى، يلحق أحدهما الآخر، ويتمِّم كلُّ واحد منهما رسالة من سبقه، بامتداد دين واحد يعد هو الرافد الاساس الذي تتفرَّع منه جميع الأديان والرسالات، وهو دين الاسلام العظيم.

ولذا فان من يتأمل في مجمل الاخبار والروايات المتعددة المنقولة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام يجدها

تشير بوضوح الى جملة واسعة جداً من الانبياء المرسلين من قبل الله تعالى الى البشرية، حيث يشير بعضها الى أن عددهم بلغ ١٢٤٠٠٠ نبي، ذكر القرآن الكريم البعض منهم، وأخفى ذكر الكثير الآخر منهم كما هو مشار اليه في بعض الآيات القرآنية المباركة(٢).

فمن ذلك ما رواه الامام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله: خلف الله عز وجل ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي(٣).

ومنها أيضاً ما روى عنه صلى الله عليه وآله من قوله: بعثت على أثر ثمانية آلاف نبي، منهم أربعة آلاف من بني اسرائيل(٤).

وفي رواية اخرى ان أبا ذر الغفاري رحمه الله سأل رسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، كم النبيين؟

فقال صلى الله عليه وآله: مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي.

فقال له: كم المرسلون منهم؟

فقال صلى الله عليه وآله: ثلاثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً.

فقال له: من كان أول الانبياء؟

فقال صلى الله عليه وآله: آدم(٥).

بل وغير ذلك من الروايات الصحيحة المشيرة الى الكم الهائل من الانبياء عليهم السلام الذين كانوا رسلاً بين الله تبارك وتعالي وبين عباده.

بل ويجد المرء في كتاب الله تعالى العزيز العديد من أسماء أولئك الانبياء والمرسلين،والذين بلغ عددهم ٢٥ نبياً – بالاضافة الى نبي الاسلام محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله – صرَّح الله تعالى بأسمائهم ضمن آيات الكتاب العزيز، وهم:

آدم، ادريس، نوح، ابراهيم، لوط، هود، صالح، اسماعيل، اسحاق، يعقوب، يوسف، شعيب، موسى، طالوت، داود، سليمان، زكريا، يحيى، يونس، أيوب، عزير (ارميا)، ذو الكفل، اليسع، الياس، عيسى عليهم السلام.

حين نجد ان القرآن – وكما ذكرنا آنفاً – قد تعرض لبعض قصص اولئك الانبياء دون ذكر أو تصريح باسمائهم.

والتأمل المتدبر في هذا الكم الهائل من الانبياء أو الرسل بين الخالق ومخلوقاته من الشر ينبىء بشكل واضح بيِّن عن الدور الكبير الملقى من قبل المرسِل على عاتق أولئك المرسَلين من خلال رسالاته المتلاحقة والمتعاقبة، وهذا ما سنحاول التعرُّض لجوانب متفرِّقة منه ابان صفحات فصول كتابنا اللاحقة باذن الله تعالى.

الفصل الثاني

علة بعث الانبياء

تقدَّم منّا الحديث آنفاً عن الانسان – وفي مختلف مراحل حياته – لا ينفك من الحاجة الملحة – التي تمليها طبيعته – الى المرشد والمعين والمربي، وهذه الحاجة غريزية بديهية يستطيع المرء تحسسها من خلال النظرة العابرة – ناهيك عن المتفحصة – للجوانب المتفرقة في حياة الانسان.

نعم، فان الانسان – مثلاً – في مطلع حياته التعليمية بحاجة الى المعلم الذي يشرع معه خطواته الأُولى في تعلم مبادىء القراء والكتابة والحساب، ثم ومع ارتقائه في سلم العلم والمعرفة تراه يتلمس العون والارشاد ممن هو سابق له في هذا الميدان، وحيث تتفاوت هذه الاستفادة بتفاوت مصادر الاستشراف.

ولا يتحدد هذا الامر في جوانب العلم والتعلم المتعارف عليها قطعاً، بل يمكننا ادراك ذلك حتى من خلال معاملات الانسان اليومية التجارية وغيرها، كيف أن هذا الانسان يمد ببصره نحو غيره ممن هو أكفأ منه، وأطول باعاً في هذا الميدان، حيث يعتمد – مثلاً – ما تم ارساؤه من القواعد التجارية، والنظم التي تتحكم بذلك، وتنساق المعاملات من خلالها، وصلاً الى تحقيق الربح، وتجنباً عن الخسارة في أبسط الاحتمالات.

بل ويبدو الامر أشد الحالاً في بعض الجوانب الاخرى ذات الاثر الكبير في حياة الأمم والشعوب، كما هو الحال في الحروب والغزوات وغير ذلك، حيث نرى عموم القادة الميدانيين في بحث وتقص للكثير من الأُطروحات الحربية المختلفة المناهج بحثاً عن أصلحها طريقة وبالاستعانة بذوي الخبرة والمعرفة.

بلى، يمكن للانسـان في مجمل هذه الجوانب الاعراض صفحاً عن اعتماد التوجيهات والارشـادات العلميـة، والنصائـح أو المناهج الموضوعـة للخوض في غمار هذه الاعمال المختلفــة، وهـو أمـر كـثير الوقوع، متكرر المشاهـدة، بيد أن النتيجـة المحسـومة سـلفاً هي المزيـد من التخبـط والضياع والخسـارة دون جدوى، ودون مبرر عقلائي يستنـد الى الاسس المنطقية التي لا يختلـف عليهـا اثنـان.

فكما ان الانسـان بطبعه ميال للتعلُّم والتزود مـن الآخرين لادراكه بان ادراك الاهداف الكبرى لا يتحقق الا بلاحم الجهود وتلاقح الافكار، فان هذا الانسان أيضاً ميال الى الاثرة والانانية والاستبداد وحـب الـذات ... فلو تُرك هذا الانسـان وأهوائه ورغباته المتعـددة دون اخضاعها للموازين العلائية المبرمجـة لهـا، والمهذبة لاندفاعاتها، فانه سـيتحول وغيره الى مجتمع متصارع تسـوده النـزوات الفردية، والشـهوات الشخصية، فتضيع عند ذلك كل الموازين والقواعد السليمة تحت أقدام التقاتل البوهيمي المنبعث عن الاثرة والانانية كما ذكرنا.

ومـن هنا فقد كان دور الهادي والمرشـد لازمـاً وحتمياً في حياة البشريـة، وبالاخص منها ما يتعلق بهدايتهـم صـوب الحياة السـعيدة الآمنة الموصلة نحـو عالم الآخـرة الازلي الذي يعـدو الجميع صوبه بخطوات متتالية ومتواصلة.

ولا غـرو في ذلـك، فان التأمـل الدقيق في التركيب النفسي للانسـان يوشي بحقائق كبرى تسـتلزم تنظيمهـا وتوجيههـا توجيهـاً مبرمجـاً متكاملاً يربو بهـا عن تجاوز الحدود المرسـومة لهـا، والمؤطرة من خلالها.

فاذا احتوى الانسان في داخله على جملة واسعة من الغرائز البشرية المتفاوتة والمتعددة الارتكازات، فـان وجـود عريزتين اثنتين لهما عند اطلاقهـما الاثر السيء الكبير في حياة ذلك الانسـان، وبالتالي حياة المجتمع الذي يتحرك من خلاله، وهما:

١ – غريزة الشهوة، وتمثل حالة النزوات الفردية الذاتية التي تحاول الاستحواذ على جملة الرغبات والمنافـع المتعـددة دون الالتفـات – ان تركـت وحالها – الى الـضرر المترتب على الفـرد أو الجماعة عند الاستجابة لها، ومطاوعتها في كثير من الاحيان.

٢ – عزيـرة الغضـب، وهـي حالة بشريـة عادية ترتكز عـلى رد الفعل النفسي المترجـم – في أحيان معينة – بأفعال منعكسـة قبال الآخرين عند وقوع ما يمكن أن يعرف بالضرر على ذلك الفرد أو تلك الجماعـة في بعض الاحيان، وحيث يتوسـع هذا المفهوم ليطوي في ظلاله ردود الفعـل التي لا تتحـدد عنـد الـكثير من البشر بحالات الغضب المرتكز على القواعد العقلائية السليمة التي تستدعـي بـالمرء رد الفعــل المتناسـب وحالة الضرر هذه، بل تشـكّل عند ذلك البعـض انفــلات وحشي ينبعـث من

حالات فاسدة ومردودة كما هو معروف عند الجميع.

ومن هنا فقد كانت الحاجة ماسة لان ترتكز حياة الفرد وبالتالي البشرية عموماً على مناهج سليمة، وقواعد صالحة متكاملة تقودها نحو حياة الاستقرار والاطمئنان، بعيداً عن حالات الانحراف المتعددة، والمتفرعة الآثار، وحيث تعمل هذه القواعد على تحديد الاطر الخاصة التي يمكن للمرء التحرك من خلالها بأمن وثقة، متجاوزاً حلقات الظلم المتعددة لنفسه أو للآخرين، وبشتى الصور والاشكال.

ولا مناص من القول بان وجود هذه المناهج أو القواعد الصالحة التي تنظم حياة البشرية عموماً - على تفاوت طبائعها وتوجهاتها وسلوكياتها - تعني صدورها عن قانون متكامل شامل له احاطة دقيقة بكل المفردات والنزعات، حاضراً ومستقبلاً، وهذا لا يمكن صدوره إلاّ عن قدرة كاملة ومطلقة لجملة متعددة من الاسباب منها:

١ - التنوع والتشابك في عموم حياة البشرية، وبالشكل الذي لا يمكن الاحاطة بها احاطة تفي بالغرض الذي وضع هذا القانون من أجله إلاّ من خلال قدرات غير طبيعية، وادراكات خارقة غير معهودة لدى البشر.

٢ - استلزام وجود الاستشراف الخارق للعصور المتلاحقة بعد عصر وضع هذا القانون، لان لكلِّ عصر ظروفه وملابساته الخاصة به، حين نجد أن المشرِّعين من البشر تتأطَّر نظرياتهم - وهو أمر طبيعي - ضمن حدود عصرهم فحسب، ولا تعدو أفكارهم واطروحاتهم المستقبلية إلاّ من باب الحدس - غير المرتكز على القواعد العقلية - أو المنطقية.

٣ - خلو القانون أو المنهج الموضوع عن مواضع الخطأ والاخفاق في الأُطروحات المقدمة لجميع الناس - على اختلاف مشاربهم، وتنوع مراكزهم - وعلى طول الازمنة والعصور.

٤ - اشتمال هذه الاطروحات المقدمة على المباديء والمناهج التي تضمن مصلحة المجموع العادلة والسليمة، بعيداً عن مظاهر الظلم بكافة أشكالها وتفرعاتها.

بل وغير ذلك من المسلمات البديهية التي تفترض بان يكون مشرع هذا القانون أو هذا النظام مطلق الكمال، وغاية العلم والحكمة التي تؤدي بالتالي من خلال ما تضعه من مناهج وقواعد متينة وثابتة الى تحقيق السعادة العامة للبشرية.

ولا خلاف بان الانسان بحد ذاته لا يستطيع التصدي لاقامة هذا المنهج الكبير والدقيق، وبهذه المواصفات المطلقة والكاملة، فلم يعد إلاّ أن تتصدى لذلك قوة كاملة وقادرة وحكيمة تتصف بجميع

صفات الكمال لهذا الامر، ولهذه المسؤولية الكبرى والعظيمة.

ولما كان الخالق جل اسمه هو مطلق الكمال، ومنتهاه فقد كان هو المتصدي لتوجيه عباده صوب ما ينأى بهم عن الانحدار في هاوية الهلاك، ومزالق الضياع، وقيادتهم بأمن وأمان نحو السعادة الابدية عبر العمل الصالح والمناهج السليمة الكاملة، لان الكامل لا يأتي إلاّ بما هو كامل، خلاف الناقص والعاجز، فانهما أعجز من أن يأتيا بخير منهما، وهو أمر منطقي ثابت البرهان.

ومن هنا فقد واصل الله تبارك وتعالى دعوته لعباده باتباع السبل السليمة القادرة على هدايتهم، وارشادهم الى كيفية طاعته، والعمل على مرضاته، وبشكل لم ينقطع، ولم يتوقف، دهراً بعد دهر، وجيل بعد جيل، وجعل سبحانه بينه وبين عباده تراجمة لوحيه، وأمناء على رسالاته، ودعاة الى دينه، ممثلين بالانبياء والمرسلين عليهم السلام وبالتالي أوصيائهم من بعدهم.

ولا يخفى على أحد عظم المسؤولية التي تقع على عاتق أولئك الانبياء عليهم السلام في محاولتهم لحث الناس على اتباع المناهج السماوية التي تتعارض مع نزوات الكثير من الناس الذين جعلوا من هواهم وشهواتهم الهة لهم من دون الله تعالى تمسك بخرطيمهم وتقودهم كالعميان صوب الهلاك الابدي، والسخط الالهي.

نعم، ان دور الانبياء الكبير هذا يمكن تلخيصه بالمرتكزات التالية:

١ - العمل على هداية الناس وارشادهم صوب معرفة الله تبارك وتعال، وحثهم على عبادته دون غيره من الموجودات الناقصة.

٢ - ايضاح المناهج السليمة والصحيحة التي يمكن من خلالها عبادة الله تعالى عبادة حقيقية بعيدة عن الاشراك وغيره.

٣ - ربط حياة الناس وتفكيرهم بيوم الحساب، حيث يقف الجميع للمجازاة على جميع أعمالهم، صغيرة كانت أم كبيرة، فيسعد من عمل صالحاً، ويشقى من تحمَّل آثاماً وأوزاراً...

٤ - تشريع المناهج الخاصة بالحلال والحرام، ووضع القواعد الشرعية التي تحدد الموقع الخاص بكل عمل من أعمال البشر عبر موازنة الحلال والحرام وما يتفرع عنها.

٥ - توجيه البشرية توجيهاً اخلاقياً يقيم من خلال الالتزام به مجتمعاً راقياً له سلوكياته وآدابه العالية التي تنظم قنوات التعامل بين أفراده على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم.

والخلاصة: ان ما يظهر ممّا تقدّم ان الانسان بحاجة ملحة الى وجود قانون الهي متكامل يقوده نحو عالم السعادة الزلية، ويقيه العثرات والمزالق الخطرة التي تؤدي الى محو انسانيته وصفاته الفطرية التي

خلفهـا الله تبـارك وتعالى فيه، ولقد اثبتت التجارب الميدانية – مع التسـليم العقلي السـابق لها – فشـل وسـقوط المناهـج والأُكروحات البشرية المجردة عن القيم السـماوية، والمعرضـة عن حقائقها الكبرى التي بشَّرت بها جميع الأديان على امتداد العصور والأزمنة، منذ خلق البشرية وحتى يومنا هذا، وحتى تقوم الساعة.

الفصل الثالث

بين النبوة والعقل

تقود بعض الناس أفكارهم السطحية الساذجة وغير المرتكزة على الأُصول المنطقية والسليمة الى جملة من الآراء والمواقف الشاذة والساقطة، والتي لا تقف أمام البحث والنقاش، بل وأمام الحقائق الثابتة والقائمة كالصروح الشامخة.

ومن تلك الآراء الغريبة والباهتة القول بان العقل قادر على هداية البشرية، وتوجيهها التوجيه السليم الذي يوصلها الى جادة الامن ومواطنه الفارهة، وبذلك فان هذا الدور ينوب عن مهمة النبي الذي يتحمَّل رسالة الهداية الى قومه!!

ولا مناص من القول بان هذه النظرية ليست جديدة العهد، وحديثة الاستنباط، بل كانت تشكِّل تصوراً سقيماً تدور حوله بعض المذاهب والافكار المنحرفة في الدهور السالفة كما يشير الى ذلك الشهرستاني في ملله(٦) إلاّ أن الدهر عفا عليها، وطوتها عجلاته المتسارعة في مقابر التخريفات والتخرصات المستهجنة.

نعم، ان الافراط في بعض التصورات الى الحد الذي يقود الانسان - أو ذلك المفكر على بعض التقديرات - نحو القول بالآراء التي لا يمكن أن تستند الى حقائق مرضية ومقبولة، يدفع بذلك الفرد أو تلك الجماعة نحو تقمص وادعاء لاوهام مردودة وسمجة لا تقوده غلاّ صوب الفشل والضياع والخسران، وهو أمر واضح وثابت لا مرا فيه.

فاذا كنا نسلم بان للعقل البشري الدور الكبير في هداية الانسان، وتوجيهه توجيهاً حكيماً ومنطقياً صوب المواقف الصحيحة والسليمة، فان هذا العقل - ورغم كل ذلك - عرضة

للتأثر بالاغراءات والغوايات المضلة، والانخداع بالمؤثرات الغريزية والشهوانية المختلفة التي تدفعه لاتخاذ جملة من المواقف السلبية والخاطئة التي لا تتناسب والدور الذي أُنيط به، واوكل بساحته.

فالعقل كما هو معروف في مضمار صراع متواصل ومتلاحق مع الاهواء والشهوات الكثيرة التي تحيط به، والتي تحاول جاهدة أن تأخذ بزمام الانسانية نحو عالم الانحراف الفكري والمادي المعتم، وحيث نرى في أن هذا العقل في نزال متفاوت حسب ما يجنِّد من قدرة وجهد في هذه المواجهة الشرسة، فهو في حلة تذبذب بين الفوز والاندحار، وبين الانتصار والخسارة.

ولا ريب بان حالات الانحسار الفكري التي يمنى بها العقل متكررة ومتعددة، وهذا مما يقوده نحو جملة من الآراء والمواقف السلبية المترتبة عليها، وبالتالي فشله وخذلانه البيِّن في اداء واجباته الملقاة على عاتقه، والمتعددة الابعاد والجوانب.

ومن هنا يظهر بوضوح وجلاء حاجة هذا العقل الى التوجيه والمساندة والمعاضدة القوية التي تفوقه قوة، وتتجاوزه قدرة، ولا مناص من أن تكون عناية سماوية، ورعاية الهية تنتشله من وهدة الضياع هذه، وتوجهه الوجهة السليمة بعيداً عن الانحراف والتشتت والضياع.

نعم، ان القول بوجوب معاضدة هذا العقل بالتسديد الرباني عبر الرسالات السماوية الكاملة، وبواسطة السفراء المنتجبين المعصومين، حقيقة ثابتة لا بد من القول بها، والتسليم بحقيقتها.

فكم عرف التأريخ من الحكماء والعقلاء البارعين الذين قادتهم بعض أفكارهم صوب حالات بشعة من الانحراف والفساد، وأمسوا وبالاً على مجتمعاتهم وشعوبهم، بل وأكثر خطراً من بسطاء الناس وسذاجتهم، وبشكل لا يصدق، ولا يحتمل.

بل وكم رأينا من التفاوت الكبير بين الآراء والمتبنيات التي تؤمن بها بعض العقول وعمل من أجلها، حين ترى رفضها ومخالفتها القطعية من قبل غيرها من العقول، للاختلاف الحاصل بينها من ناحية الاستحسان والقبح العقليين.

ألا ترى أن بعض الافكار المتعارضة كالشيوعية والرأسمالية لها دعاة وحماة من ذوي العقول المفكرة المعروفة والمشهودة، حين تجدها متناقضة بجميعها مع فطرة العقول، وطويتها السليمة، ناهيك مع مجمل الشرائع السماوية المباركة.

أما كان الاجدر بالعقول – ان وافقنا أصحاب نظرية الاستعاضة هذه – أن تتفق على مبدأ واحد، أو على أقل تقدير عدم منافرة المبدأ الآخر ومخالفته؟

بل أما كان الاجدر بهذه العقول أن تتبين نقاط السقوط البادية للعيان في كل هذه المباديء ورفضها بدلاً من الاستماتة في الدفاع عنها، والذود عن حياضها؟

ان كل ذلك يقطع بان العقل مهما بلغت به حدوده غير المنظورة يبقى بحاجة الى توجيه السماء ورعايتها له من الضياع، ولا يكون هذا إلاّ بواسطة رسل الله تعالى في أرضه، وهو أمر بديهي ومقطوع به.

الفصل الرابع

بين العلم والنبوة

تقدم الحديث منّا في الفصل السابق عن تخرصات من يدعي امكان الاستعاضة بالعقل عن الانبياء عليهم السلام في اداء رسالاتهم المقدسة، وحيث تعرضنا لهذا المبدأ السقيم بالنقاش والبحث، وأثبتنا بطلانه وسقوطه وعدم واقعيته.

وسنحاول في هذا الفصل التعرُّض لرأي سقيم أخر يلحق بذلك الرأي المتقدم، والذي يذهب الى امكانية استبدال العلم بمراحلة المتقدمة النبوة، حيث يستطيع هذا العلم ان يوجه الانسان، ويرفعه الى عالم السعادة والاستقرار والسلام.

وهذا الرأي كما هو واضح مبتن على الانبهار والتأثر الكبيرين بحالات الرقي الكبير التي بلغها العلم في العصور الحديثة، وما استطاع تجاوزه وتحقيقه من نتائج كبرى في حياة البشرية، وما رافقه من رقي وتقدم ملموسين وواقعيين، ولا يمكن لاحد نفيهما وتكذيبهما.

نعم، ان العلم قد خطا بالبشرية أشواطاً كبيرة ومحسوسة لا يمكن مقارنتها بما كانت عليه في عصور الجهل والتخلف الماضيين، ولعل هذا التصور هو الذي دفع أنصار هذه النظرية الى موقفهم الغريب هذا، حيث وجدوا في كبر وعظم التفاوت بين المرحلتين حالة تستدعي بالمرء التسليم بجدارة العلم لان يقود البشرية نحو عالم السعادة المرجوة، وبالتالي يكون دوره كدور الانبياء الذي يعملون على انتشال البشرية من ضياعها، وايصالها بالتالي صوب عالم السعادة التي وصلتها بواسطة العلم وانجازاته الكبرى.

بلى، ان هذا التصور السطحي والمنبهر هو العلة الاساس في تبني هذا الموقف، متناسين بان الانسان

مهما بلغ به العلم من درجات التحضر والمعرفة والرقي التقني يبقى قاصراً عن ادراك أبسط درجات العلم الإلهي الذي لا يحد ولا يوصف والذي يوضح معادلته البائسة هذه قول الله تبارك وتعالى:

﴿وَما أُوتيتُم مِنَ العِلمِ إلاّ قَليلاً﴾(٧).

فكيف يمكن للانسان مهما بلغ به العلم أن يحيط بكل الجوانب التي يتأطر من خلالها، ناهيك عن المغيبات عنه، والبعيدة عن ادراكه؟

ان هذا الافتراض محض توهم بحت لا يستند الى قواعد سليمة، ومرتكزات صحيحة.

ثم ألا يتفق الجميع على أن أغلب النظيات العلمية ظنية واحتمالية قابلة للرد والمعارضة والتفنيد كما حصل للكثير منها في العصور المتلاحقة، وبنسب متفاوتة ومختلفة؟

بل وان العلم مهما بلغ من الرقي والتحضُّر يبقى عاجزاً عن محاكاة النفس الانسانية، والروح البشرية التي لا تستقر ولا تشعر بالامن والاطمئنان إلاّ من خلال المثل الروحية، والمباديء السماوية التي يبشر بها، ويدعو اليها رسل السماء من الانبياء والمرسلين عليهم السلام كما هو معروف، وما نراه الآن من الضياع الروحي الذي تعاني منه المجتمعات المتطورة خير شاهد، وخير دليل على ذلك.

أقول: ان هذه التصوُّرات وغيرها تقطع بان العلم مهما بلغ من الرقي والتطور يبقى قاصراً ومتواضعاً جداً، وبشكل تستحيل فيه المقارنة بينه وبين الوحي الالهي والعلم السماوي المنقول بواسطة الانبياء والمرسلين عليهم السلام لهداية البشرية وسعادتها.

ثم ان في التأمل بتصريحات الكثير من العلماء والمفكِّرين القاطعة بعجز العلم عن ادراك الكثير من الالغاز والاحاجي الكونية المختلفة – حتى منها ما يتعلق بالانسان نفسه – تقطع بصواب ما ذهبنا اليه من القول باستحالة الاستعاضة بالعلم عن الانبياء الممثلين لرسل الله تعالى، ووحيه الى عباده.

فهذا المفكر الالماني الكبير ماكس نوردو في كتابه الموسوم بالاكاذيب المتفق عليها في مدينتنا الحاضرة يصرح بأن: الانسانية دائبة وراء البحث عن العلم والسعادة، ولكنها لم تكن في عهد من عهودها أبعد عن الارتياح اليها، والغبطة بها مما هي عليه في العصر الحاضر.

نعم، ان العلم والمدنية ينتشران في كل مكان، وكل يوم يظهر اكتشاف عجيب يجعل الارض أكثر ملائمة للسكنى، وشدائد الحياة أخف وطأة على النفس، ولكنا نرى الانسانية رغماً عن توفر شروط السعادة والهناء تزداد كدراً واضطراب بال.

وأما الاُستاذ وليم جيمس – أحد اساتذة جامعة هارفارد – فيقول في كتابه ارادة الاعتقاد: ان علمنا ليس إلاّ نقطة، وجهلنا بحر زاخر، والامر الوحيد الذي يمكن أن يقال بشيء من التأكيد هو: ان عالم معارفنا الطبيعية الحالة محاط بعالم أوسع منه من نوع آخر لم ندرك خواصه الكونة له (٨).

وفي كتاب الانسان ذلك المجهول يقول الدكتور الكسيس كاريل: ان الجماعات والأُمم التي بلغت فيهـا الحضـارة الصناعية أعظم نمو وتقدم هي على وجه الدقة الجماعـات والأُمم الآخذة في الضعف، والتي ستكون عودتها الى البربرية والهمجية أسرع من عودة غيرها اليها، ولكنها لا تدرك ذلك، اذ ليس هناك ما يحميها من الظروف العدائية التي شيدها العلم حولها[٩].

وفي كتـاب الله يتجـلى في عـصر العلم، ينقل قـول للدكتور بول كليرانس ابرسـولد اسـتاذ الطبيعة الحيوية، ومدير قسـم النظائر والطاقة الذرية في معامل اوك ديدج ما نصه: لقد كنت عند بدأ دراسـتي للعلوم شـديد الاعجاب بالتفكير الانسـاني،وبقوة الاساليب العلمية، الى درجة جعلتني أثق كل الثقة بقدرة العلوم على حل أي مشكلة في هذا الكون، وادراك معنى كل شيء.

ويضيف: وعندما تزايد علمي ومعرفتي بالاشياء، من الذرة الى الاجرام السماوية، ومن الميكروب الدقيق الى الانسان، تبين لي ان هنالك كثيراً من الاشياء لم تستطع العلوم حتى اليوم ان تجد لها تفسيراً، وتكشف عن اسرارها النقاب[١٠].

وأمـا الأُسـتاذ كاميـل فلامريـون فيقـول: ان مـن التناقض البـين ان نـرى ان الرقي الـذي حصل في العلـوم ممـا لا مثيل له في التأريخ، وان هـذه الفتوحات المتوالية التي تمت للانسـان في الطبيعة، بينما رفـع عقولنـا الى الدرجات العالية أهبط انسـانيتنا الى اخس الدركات، ومـن المحزن أن نحس بانه بينما نشـعر بنماء قوتنا يوماً بعد يوم تنطفيء حرارة قوتنا، وتتضرج زهرة حياتنا القلبية بتأثير المطامع المادية والشهوات الجسدية[١١].

وأخـيراً فان مما يسـلم به العقل تسـليماً منطقياً ثابتاً كون العلم والمعرفـة البشرية، وحتى عين العقل جميعهـا قاصرة عـن أن تحقق السـعادة الحقيقية التـي يبحث عنها الانسـان، والتي بـشَّرت بها الاديان والرسالات السماوية المباركة على طول التأريخ.

الفصل الخامس

الضمير الانساني والتوجيه الالهي

يتفق علماء النفس على ان الانسان خليط متمازج من المشاعر والاحاسيس المختلفة التي تندرج كل واحدة منها ضمن خاصية عملية متعلقة بها خلاف غيره من الصفات الأُخرى المقابلة والمناظرة لها.

ولعل من هذه الصفات الحميدة التي تعد من الخصال الجميلة الرائعة التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسلوكيات الواعية والعاقلة للانسان وجود الضمير الانساني والذي يعرفه البعض بانه النبي الداخلي للانسان، والموجه السلم لجملة كبيرة من تصرفاته وسلوكياته المختلفة.

ولا غرو من القول بان هذه القدرة الذاتية التي أودعها الله تعالى في الانسان لها من المكانة الكبرى والمهمة في تكوينه وخلقه، والتي تنبعث أساً من الدور الكبير والمهم الذي تؤديه وتضطلع بمسؤوليته، حتى انها تحظى بالتكريم الالهي المتميز من خلال قسمه جل اسمه بها في موضع من آيات الكتاب العزيز، حيث قال تعالى في سورة القيامة: ﴿لا أُقسِمُ بِيَومِ القيامَةِ * وَلا أُقسِمُ بِالنفسِ اللَّوّامَةِ﴾[١٢].

ولعل هذا الجانب النفسي الداخلي في الانسان قد شكَّل في حد ذاته قيامة صغرى متواصلة في فكر بعض الناس وحياتهم، وحيث يقف لهم بالمرصاد عند كل شاردة وواردة، بل وتوقفهم للمحاكمة الدقيقة، والمحاسبة المتثبتة والمتفحصة في أعمالهم وتصرفاتهم المختلفة.

وهذا الدور العام الذي يضطلع به الضمير الانساني المرتكز على العقل البشري دفع البعض للتساؤل – دون تبصر وتثبت – عن جدوى تلاحق الانبياء والمرسلين، وبعثتهم الى البشرية لغرض هدايتها، وتوجيهها توجيهاً عقلائياً سليماً يقيها العثرات، ويجنبها النكسات، طالما أن الضمير الانساني يؤدي عين الدور المؤدي من قبلهم، والمتعلق برسالاتهم!!

نعم، ان هذه التساؤلات السطحية والساذجة وان يبدو سقوطها بيِّناً، وعوارها واضحاً ساطعاً، إلاّ انها قد تشكل في أذهان البعض استفساراً – ولو كان محدوداً جداً – ينبغي التوقف عنده قليلاً لمناقشته ومحاججته.

وليس بخاف على المتأملين والمتفحصين في جوانب هذا الموضوع وأبعاده المختلفة أن هناك جملة واضحة من الحقائق الواضحة التي لا يعسر على أحد تجاوزها والاعراض عنها، والتي يمكن اجمالها بالنقاط التالية:

١ – التفاوت الكبير في حالات التأثير المباشر للضمير الانساني حياة وتصرفات وسلوكيات عموم البشر، وبشكل لا يمكن معه بأي حال من الاحوال القطع بان التوافق الحاصل بين الحالات المختلفة، وبنسبها المختلفة، يمكن أن تشكِّل ظاهرة جديرة بالاعتداد بها قبال وجود التوجيه السماوي، والهداية الالهية بواسطة الانبياء والمرسلين ورسالاتهم المباركة.

نعم، فان المرء يدرك بوضوح نسب هذا التفاوت بين قدرات وتأثيرات الضمير الانساني لدى أفراد المجتمع، على اختلاف مشاربهم، وتنوع معتقداتهم.

فالكثير من الناس قد اختفى في داخلهم حافز الضمير المودع فيهم بشكل أمسى وجوده كعدمه، حين يظهر بحياء لدى البعض، خلاف ما يمكن أن يكون عليه من القوة والتأثير لدى القلة القليلة من الناس.

٢ – خضوع الضمير الانساني للمؤثرات الادراكية للعقل البشري، والمخاضات الفكرية المرتبطة به، فلا مناص من امكان وقوعه في المزالق المهلكة واتجاهه اتجاهاً سلبياً خاطئاً عند انحدار عين التفكير في الخطأ والتخبط كما هو ممكن وواقع فعلاً.

٣ – تأثير الضمير الانساني بالأجواء الاجتماعية، والعادات المستأصلة في المجتمع الذي تتأطر من خلاله حياة ذلك الفرد ووجوده، وحيث يبدو موقف ذلك الضمير متذبذباً متفاوتاً في حكمه على جملة متوافقة – أو حتى واحدة – من السلوكيات والتصرفات المعينة، فهو بين القبول والرفق باختلاف المحيط العام الذي يحتويه ويتحرك من خلاله.

ففي بعض المجتمعات – كما لدى بعض الجماعات في الهند – تجد عبادة البقر وتأليهه وتقديسه، حيث تجد عموم الشعوب الاخرى تستبيح ذبح هذا الحيوان وأكل لحمه.

كما عادة شرب الخمس المستشرية لدى جملة من الشعوب الاوربية أصبحت من المظاهر غير المستهجنة وغير المرفوضة لدى الكثيرين منهم، خلاف ما تجده لدى بعض الشعوب الملتزمة من رفضها والاشمئزاز من متعاطيها.

٤ – تكـرر وقـوع بعض الاعمال والافعال الخاطئة من قبل البعض تعمـل تدريجياً في بنيان الرفض النفـسي للضمير الانسـاني، حتى تمسي بعد ذلك من الأمور البديهيـة التي تمر على النفس البشرية مرور الكرام دون رفض لها من قبل ضميرها إلاّ في حدود ضيقة على أضعف الاحتمالات.

٥ – خضـوع بعـض التصرفات الخاطئـة للتأويلات المختلفة التي تحاول خداع الضمير الانسـاني، والقاء ستار الغفلة والتجاهل عليه، فتنساب بالتالي تلك التصرفات من أمام الضمير الانساني انسياب الافعى دون محاسـبة أو مسـاءلة، وهو أمر كثير الوقوع، متعدد المشـاهدات، سواء في حياتنا الشخصية أو في أعمال الآخرين وأفعالهم.

فالمـرء الـذي يتعاطـى الرشـوة مثلاً في بعـض الاعمال يـبرر تصرفه بان هنـاك الكثيريـن غيره ممن يمارسـون هذا الامر فلِمَ أتوقف أنا، وحاجتي الماديةالسـيئة تطبق بخناقها عليَّ وعلى عائلتي دون رحمة أو شفقة، ثم انه عمل أقوم به لتسهيل معاملات الناس لقاء أجر أناله لكي أعيش.

ولا يتوقف الامر عند هذه التصرفات الفردية المحدودة، بل يتجاوزها لما هو يتعلق بحياة شـعوب وأُمم كبيرة وواسـعة، كما هو الحال في تبرير ترومان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابق، لقراره الاجرامـي الوحشي بضرب مدينتي هيروشـيما وناجازاكي بالقنبلة الذريـة نهاية الحرب العالمية الثانية، وحيـث أدى ذلـك الى قتل عشرات الآلاف من الناس الابرياء – رجالاً ونسـاءً، وشـيوخاً وأطفالاً – دون رحمـة أو انسـانية، في فاجعـة لا تنسـى طوال التأريخ، مضافـاً الى ما خلفه ذلك من آثار سـلبية في الاجيال المتلاحقة لشعبي هاتين المدينتين المنكوبتين، والتي بدأت تظهر مع الزمن ودورانه.

يقـول ترومـان تبريراً لذلك: لقد كنّـا مضطرين الى اتخاذ هذا القرار وتنفيذه، لان اسـتمرار الحرب سيؤدي الى قتل المزيد من الافراد والجماعات.

٦ – اقتصار الضمير الانسـاني على حدود الفرد وتصرفاته وسـلوكياته، مع ما في ذلك من التفاوت والتذبذب كما ذكرنا آنفاً، خلاف دور الانبياء والمرسلين من ارتباطهم بعموم الناس، وتصديهم لوضع القوانين الالهية وترجمتها لاقامة النظام السماوي العادل والكامل، وهذا ما يعجز عن الضمير الانساني بلا ولا أدنى تردد.

الفصل السادس

حسن البعثة ولزومها

المدخل

التامُّل المتدبِّر في الكثير من المفردات الكونية المختلفة والنظام الدقيق والصارم الذي تنساب من خلاله، وتتأطر ضمن أبعاده، يقود الانسان الباحث الى جملة واسعة من الاستدلالات العقلية المفضية الى اثبات حقيقة لزوم البعثة لهداية البشرية، وقيادتهم صوب العالم الافضل، والحالة الاكمل.

فجميع الموجودات التي خلقها الله تبارك وتعالى، وأناط بها مسؤولية معينة، ودوراً خاصاً، هيء لها سبحانة من المستلزمات والعدد الخاصة التي تمكنها بالتالي من أداء هذا الدور بالشكل الذي يراد منها، وتستلزمه الشروط المرتبطة بها، وإلا فلا جدوى ولا حكمة من أن تعاب بالتقصير، وتُتهم بالخلل وعدم اداء ذلك الدور عند عدم توفر تلك المستلزمات التي تعتمدها للوصول الى تلك الغاية، وذلك الهدف.

فعين الانسان - مثلاً - التي انيطت بها مسؤولية النظر والرؤية نجد ان الباريء جل اسمه قد وفَّر لها مستلزمات هذه الرؤية وشرائطها الخاصة بها.

وكذا هو الحال بالنسبة لباقي الاعضاء المختلفة في جسم الانسان، والتي انيطت بها مسؤوليات ومهام خاصة تستلزم الاداء.

ثم لو انتقلنا أبعد من ذلك صوب ما هو أعظم من ذلك كالشمس والقمر، أو المجموعة الشمسية برمتها، فانا سنرى الكثير من الحقائق الكبرى الدالة على صدق ما أشرنا اليه آنفاً.

فاذا قدر لهذه الارض أن تكون مركزاً كبيراً للحياة البشرية حتى يأذن الله تعالي بفنائها وخرابها،

فــان الكثير من المســتلزمات الخاصة بهــذه الحياة قد اُعــدت ونظِّمت تنظيماً دقيقــاً لان تكون الظروف المحيطة بهذا الكوكب السماوي الكبير مساعدة وملائمة لقيام هذه الحياة واستمرارها، وبشتى أشكالها وأنواعهــا، بــل وحتى بما يحيط بها، وتتأثر به تأثراً مباشراً وقوياً كالشــمس مثلاً أو القمر، أو غير ذلك من الاجرام السماوية المختلفة.

فالشــمس التــي تهب الحياة والدفء لهذا الكوكب الذي نعيش عــلى أرضه، يكون حرمانه منها هو الانجماد والموت الحتمي، بل وحتى خروجها ولو قليلاً عن المدار الدقيق الذي تسير به، والمسافة التي تبعــد بهــا عــن الارض، والتي تقدر بحوالي (٩٢) مليون ميل، حيث ســيؤدي ذلــك الى نتائج وخيمة، وآثار سلبية لا تقدر في عموم الحياة على هذه الارض.

وكــذا هــو الحال في تــوالي الليل والنهار، والصيف والشــتاء وغير ذلك من الــشروط الخاصة بقيام الحياة واستمرارها واستمراراً سليماً وصحيحاً، وكما هو مطلوب ومقدَّر له.

أقــول: ان جملــة تلك الحقائق التي تنســاب من حقائــق اخرى لا عد لها ولا حــصر كلها توحي الى ضرورة هــذه الحقيقة الكبرى والمســلمة بوجــوب البعثة لما هو يتعلق بعموم الحيــاة، والغاية التي خلق منها الانسان.

فاذا خلق الله تعالي في الانســان الكثير من المستلزمات الخاصة بجملة الوظائف التي انيطت ببعض اعضائــه، فــان حاجة هذا الانســان، لتوفر وســائل هدايته وتوجيهــه صوب عالم الهداية والســعادة هو أعظم وأهم بلا شك.

ولعل الى هذه النقطة الحساســة أشــار الشيخ الرئيس أبو علي سينا حيث قال بما مضمونه: أن حاجة الانســان الى بعث الانبياء والرســل هي أشــد من حاجته الى انبات الشــعر - مثلاً - على الأشفار وعلى الحاجبين .... وكذا غيرها من المنافع الاخرى التي لا يســع الانســان الاســتغناء عن بعضها في حياته، ومواصلتها.

فالعنايــة الالهيــة الازليــة تقتضي تقديــم أمر البعثة عــلى هذه الامــور، فيجب عند ذلــك القول بها، والتسليم بوجوبها(١٣).

الشيعة الامامية بين أصل النبوة وحسن البعثة

بعــد أن جبنا ســوية في غمار جملة مــن المواضيع المتصلة بأصل النبة الكريم، ومــا يتصل به، لا بد لنا من أن نعرج الى جملة من الآراء الخاصة بالشيعة الامامية، والمتحققة عبر تصريحات وكتابات بعض من علمائهم الاعلام، ومفكريهم الكبار، وبشكل مختصر متعجل.

ولا يعني هذا القول بأي حال من الاحوال التفاوت العقائدي الكبير في آراء هذه الطائفة عن باقي الطوائف الاسلامية قطعاً، فوجود بعض الاختلافات العقائدية الحساسة فيما يتصل بموضوع النبي والنبوة قابلة للبحث والنقاش والاقناع، ولا تعد بأي شكل ما تباين يشتت جملة الصفوف الاعتقادية لعموم المذاهب الاسلامية كما هو معروف.

ثم ان بعض الاختلافات المتصلة بهذا الموضوع لها جوانبها المخصصة لها في بعض صفحات كتابنا القادمة، أو في جملة الفصول المتفرعة عن بعض أبواب الكتاب، والتي ستتعرَّض لها لاحقاً – ان شاء الله تعالى – بالبحث والنقاش والتفصيل، والله تعالى هو الموفق للصواب.

قال الشيخ الصدوق رحمه الله في كتاب الاعتقادات: أعتقادنا فيعددهم – أي الانبياء – أنهم مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي.

ونعتقد فيهم أنهم جاءوا بالحق من عند الحق، وأن قولهم قول الله تعالى، وأمرهم أمر الله تعالى، ومعصيتهم معصية الله تعالى، وأنهم لم ينطقوا إلاّ عن الله تعالى ووحيه.

وأن سادة الأنبياء خمسة الذي عليهم دارت الرحى، وهم أصحاب الشرائع، وهم أولو العزم: نوح، وابراهيم، موسى، وعيسى، ومحمد، صلوات الله عليهم أجمعين.

وأن محمداً ﷺ سيدهم وأفضلهم، وأنه ﴿جاءَ بِالحَقِّ وَصَدَّقَ المُرسَلينَ﴾[١٤] وأن الذين كذبوا ﴿لَذائِقوا العَذابِ الأليم﴾[١٥] وأن الذين ﴿آمَنوا بِهِ وَعِزَّروهُ وَنَصَروهُ وَلتَّبَعوا النُّورَ الَّذي أُنزِلَ مَعَهُ أولئِكَ هُمُ المُفلِحونَ﴾[١٦] الفائزون[١٧].

وقال الشيخ المفيد رحمه الله في أوائل المقالات: إن تعليق النبوة تفضل من الله تعالى على من اختصه بكرامته، لعلمه تعالى بحميد عاقبته، واجتماع الخلال الموجبة في الحكمة بنبوته في التفضيل على من سواه.

فأما التعظيم على القيام بالنبوة والتبجيل وفرض الطاعة فذلك يستحق بعلمه الذي ذكرناه[١٨].

وقال الشيخ المظفر رحمه الله في عقائد الامامية: نعتقد أن النبوة وظيفة الهية، وسفارة ربانية، يجعلها الله تعالى لمن ينتجبه ويختاره من عباده الصالحين، وأوليائه الكاملين في انسانيتهم، فيرسلهم الى سائر الناس لغاية الرشادهم الى ما فيه منافعهم ومصالحهم في الدنيا والآخرة، ولغرض تنزيههم وتزكيتهم من درن مساويء الأخلاق، ومفاسد العادات، وتعليمهم الحكمة والمعرفة، وبيان طرق السعادة والخير، لتبلغ الانسانية كمالها اللائف بها، فترتفع الى درجاتها الرفيعة في الدارين، دار الدنيا، ودار الآخرة[١٩].

وأما الشيخ كاشف الغطاء رحمه الله فقد ذكر في كتاب أصل الشيعة واُصولها: يعتقد الشيعة الامامية

أن جميع الانبياء الذي نص عليهم القرآن الكريم رسل من الله تعالى، وعباد مكرمون، بُعثوا لدعوة الخلق الى الحق، وأن محمداًﷺ خاتم الانبياء، وسيد الرسل، وانه معصوم من الخطأ والخطيئة....[٢٠]

أقول: ان التعرض للآراء المتوافقة القاطعة بتعظيم الانبياءعليهم السلام والاشادة بمكانتهم والدور العظيم المناط بهم، يستدعي بنا البحث عن جانب ما يختص بوجوب بعثة هؤلاء الانبياء وحسنها، والاختلاف الواقع من قبل البعض في ذلك، وما يرتبط بجميع ذلك من المفردات المختلفة.

فاذا ذهب جميع المسلمون، بل وكافة أرباب الملل والنحل وغيرها من العقلاء الى حسن البعثة النبوية[٢١] لجملة واضحة ومقطوع بها من الادلة الثابتة التي لا يختلف فيها أحد، فان رأي من ذهب الى خلاف ذلك – وأني بهم البراهمة – رأي سقيم وباهت، ولا يستند الى أي حجة أو برهان.

نعم، فاذا كنّا قد تعرَّضنا في بعض صفحات كتابنا السالفة الى بعض الادلة العقلية والمنطقية التي تجزم بحسن البعثة النبوية ووجوبها، ومناقشة ما يتصل من ذلك بالآراء الشاذة التي تحاول استبدالها بغيرها من المرتكزات الاخرى كالعقل، والعلم، والضمير، وغير ذلك، فانّا سنحاول هنا التعرُّض الى جملة اخرى من المؤيدات العقلية لحسن هذه البعثة.

فالمحقِّق الطوسي رحمه الله في تجريده يذكر بان: البعثة حسنة لاشتمالها على فوائد: كمعاضدة العقل في ما يدل عليه، واستفادة الحكم في ما لا يدل، وازالة الخوف، واستفادة الحسن والقبح، والمنافع والمضار، وحفظ النوع الانساني، وتكميل اشخاصه بحسب استعداداتهم المختلفة، وتعليمهم الصنائع الخفية، والاخلاق، والسياسات، والإخبار بالعقاب والثواب، فيحصل اللطف للمكلِّف. انتهى.

وأوضح العلاّمة الحلي رحمه هذه الفوائد بقوله: الدليل على حسن البعثة انها قد اشتملت على فوائد وخلت عن المفاسد، فكانت حسنة قطعاً، وقد ذكر المصنف رحمه الله جملة من فوائد البعثة، منها: أن يعتضد العقل بالنقل في ما يدل العقل عليه من الاحكام، كوحدة الصانع وغيرها، وأن يستفاد الحكم من البعثة في ما لا يدل العقل عليه، كالشرائع وغيرها من مسائل الأصول.

ومنها: ازالة الخوف الحاصل للمكلَّف عند تصرفاته، اذ قد علم بالدليل العقلي انه مملوك لغيره، وان التصرف في ملك الغير بغير اذنه قبيح، فلولا البعثة لم يعلم حسن التصرفات، فيحصل الخوف بالتصرف وبعدمه، اذ يجوِّز العقل طلب المالك فعلاً من العبد لا سبيل الى فعله إلاّ بالبعثة، فيحصل الخوف.

ومنها: ان بعض الافعال حسنة وبعضها قبيحة، ثم الحسنة منها ما يستقل العقل بمعرفة حسنه، ومنها ما لا يستقل، وكذا القبيحة، ومع البعثة تحصل معرفة الحسن والقبح اللذين لا يستقل العقل بمعرفتهما.

ومنها: ان النوع الانساني خلق لا كغيره من الحيوانات، فانه مدني بالطبع، يحتاج الى أُمور كثيرة في معاشه لا يتم نظامه إلاّ بها، وهو عاجز عن فعل الأكثر منها إلاّ بمشاركة ومعاونة، والتغلق موجود في الطبائع البشرية، بحيث يحصل التنافر المضاد لحكمة الاجتماع، فلا بد من جامع يقهرهم على الاجتماع، وهو السنَّة والشرع، ولا بد للسنَّة من شارع يسنَّها ويقرر ضوابطها، ولا بد وأن يتميز ذلك الشخص عن غيره من بني نوعه لعدم الاولوية.

وذلك المائز لا يجوز أن يكون مما يحصل من بني النوع لوقوع التنافر في التخصيص، فلا بد وأن يتميز من قبل الله تعالى بمعجزة ينقاد البشر الى تصديق مدعيها، ويخوفهم من مخالفته، ويعدهم على متابعته، بحيث يتم النظام، ويستقر حفظ النوع الانساني على كماله الممكن له.

ومنها: ان اشخاص البشر متفاوتة في ادراك الكمالات، وتحصيل المعارف، واقتناء الفضائل، فبعضهم مستغن عن معاون لقوة نفسه، وكمال ادراكه، وشده استعداده للاتصال بالامور العالية، وبعضهم عاجز عن ذلك بالكلية، وبعضهم متوسط الحال، وتتفاوت مراتب الكمال في هذه المرتبة بحسب قربها من أحد الطرفين، وبعدها عن الآخر، وفائده النبي تكميل الناقص من أشخاص النوع بحسب استعداداتهم المختلفة في الزيادة والنقصان.

ومنها: ان النوع الانساني محتاج الى آلات وأشياء نافعة في بقائه، كالثياب، والمساكن وغيرها، وذلك مما يحتاج في تحصيله الى معفة عمله، والقوة البشرية عاجزة عنه، وفائدة النبي ﷺ في تعليم هذه الصنائع النافعة الخفية.

ومنها: ان مراتب الاخلاق وتفاوتها معلوم، يُفتَقر فيه الى مكمل لتعليم الاخلاق والسياسات بحيث تنتظم أُمور الانسان بحسب بلده ومنزلة.

ومنها: ان الانبياء يعرفون الثواب والعقاب على الطاعة وتركها، فيحصل للمكلَّف اللطف ببعثهم، فتجب بعثتهم لهذه الفوائد.

ثم تعرَّض رحمه الله لمناقشة شبهة المعتزلة بعدم القول بحسن البعثة، حيث قال: احتجت البراهمة على انتفاء البعثة بان الرسول اما ياتي بما يوافق العقول أو بما يخالفها، فان جاء بما يوافق العقول لم تكن اليه حاجة، ولا فائدة فيه، وان جاء بما يخالف العقول وجب رد قوله!!.

وهذه الشبهة باطلة بما تقدَّم في أول الفوائد، وذلك أن نقول: لِمَ لا يجوز أن يأتوا بما لا تقتضيه العقول، ولا تهتدي اليه، وان لم يكن مخالفاً للعقول، بمعنى انه لا يأتوا بما يقتضي العقل نقيضه مثل كثير من الشرائع والعبادات التي لا يهتدي العقل الى تفصيلها(٢٢).

البعثة النبوية بين الوجوب وعدمه

لّما ذكرنا في صفحات كتابنا السابقة بان حسن البعثة ممّا تسالم عليه الجميع بفرقهم ونحلهم، خلاف البراهمة الذين لم يذهبوا الى ذلك، مستندين على آراء وتفسيرات غريبة ومستهجنة، تعرضنا لها بالرد والتفنيد والابطال، فان الجانب الثاني الذي شكل بعض الاختلاف بين المدارس الكلامية والعقائدية الاسلامية، هو القول بوجوب البعثة بجوانبها المختلفة وعدمه.

والفرق الاسلامية في ذلك الامر تتبنى آراء متفاوتة فيما بينها، وهي بين توسع وتضييق، إلاّ ان الامر بحاجة الى مزيد تأمل من بعض تلك الفرق من خلال عرض متبنياتها على المرتكزات العقائدية والفكرية للاصول الاسلامية الثابتة، بعيداً عن التأويلات السطحية والمغلقة.

نعم، فاذا كان المقصود من خلق الخلق وايجادهم هو تحقيق المصلحة والفائدة التي تعود اليهم وتنفعهم، فان الحكمة الالهية تستوجب على نفسها توجيههم وهدايتهم، واسعافهم بما فيه تحقيق مصالحهم الدينية والدنيوية، وهو أمر بديهي ومنطقي عند التأمل والتدبر.

بيد ان هذا التصور البسيط والبديهي لم يلغ الخلاف الواقع في تحديد ماهية هذا الامر، حيث نرى أن جماعة من المعتزلة تذهب الى ان البعثة لا تجب في كل وقت، بل في حال دون حال، وهو ما اذا كانت المصلحة في البعثة، حين ذهب الاشاعرة بان البعثة لا تجب في كل وقت، تناغماً مع موقفهم المعلوم برفض الحسن والقبح العقليين(٢٣).

قال العلاّمة الحلي رحمه الله في شرحه لاستدلال المحقق الطوسي رحمه الله على وجوب البعثة (دليل الوجوب يعطي العمومية): أي دليل وجوب البعثة يعطي عمومية الوجوب في كل وقت، لان في بعثته زجراً عن القبائح، وحثاً على الطاعة، فيكون لطفاً، ولان فيه تنبيه الغافل، وازالة الاختلاف، ودفع الهرج المرج، وكل ذلك من المصالح الواجبة التي لا تتم إلاّ بالبعثة، فتكون واجبة في كل وقت(٢٤).

وقال المحقق السيوري رحمه الله: ان النبوة مع حسنها – خلافاً للبراهمة – واجبة الحكمة خلافاً للاشاعرة،، والدليل على ذلك هو انه لما كان المقصود من ايجاد الخلف هو المصلحة العائدة اليهم، كان اسعافهم بما فيه مصالحهم وردعهم عما فيه مفاسدهم واجباً في الحكمة، وذلك إما في أحوال معاشهم أو أحوال معادهم.

أما في أحوال معاشهم فهو انه لما كانت الضرورة داعية في حفظ النوع الانساني الى الاجتماع الذي يحصل معه مقاومة كل واحد لصاحبه في ما يحتاج اليه، استلزم ذلك الاجتماع تجاذباً وتنازعاً يحصلان من محبة كل واحد لنفسه، وارادة المنفعة لها دون غيره، بحيث يفضى ذلك الى فساد النوع واضمحلاله،

فاقتضت الحكمة وجود عـدل يفرض شرعاً تجري بين النوع، بحيث ينقاد كل واحد الى أمره، وينتهي عند زجره.

ثـم لـو فرض ذلك الشرع اليهم لحصل ما كان أولاً، اذ لكل واحد رأي يقتضيه عقله، وميل يوجبه طبعـه، فلا بد حينئذ من شـارع متميز بآيـات ودلالات تدل على صدقه كي يشرع ذلك الشرع مبلِّغاً له عن ربه يَعِد فيه المطيع، ويتوعد فيه العاصي، ليكون ذلك أدعى الى انقيادهم لامره ونهيه.

وأمـا في أحوال معادهم، فهو انه لما كانت السـعادة الاخروية لا تحصـل إلاّ بكمال النفس بالمعارف الحقة، والاعمال الصالحة، وكان التعلق بالامور الدنيوية، وانغمار العقل في الملابس الدنية البدنية مانعاً من ادراك ذلك على الوجه الاتم، والنهج الأصوب، أو يحصل ادراكه لكن مع مخالجة الشك ومعارضة الوهم، فلا بد حينئذ من وجود شخص لم يحصل له التعلق المانع، بحيث يقرر لهم الدلائل، ويوضحها لهـم، ويزيل الشـبهات يدفعهـا، ويعضد ما اهتدت اليه عقولهم، ويبين لهم مـا لم يهتدوا اليه، ويذكرهم خالقهم ومعبودهم، ويقرر لهم العبادات والاعمال الصالحة ما هي؟ وكيف هي؟ على وجه يوجب لهم الزلفى عند ربهم، ويكررها عليهم ليستـحفظ التذكير بالتكرير، كي يسـتولي عليهم السـهو والنسـيان اللذان هما كالطبيعة الثانية للانسـان، وذلك الشـخص المفتقر اليه في أحوال المعاش والمعاد هو النبي، والنبي واجب الحكمة، وهو المطلوب[٢٥].

ويناقـش الشـيخ المظفر رحمـه الله هذا الامر من جانب مبسـط يتعلق بالانسـان وحاجته الى الهداية وتوجيـه، حيث يقول: ان الانسـان المخلوق العجيب، غريب الاطـوار، معقد التركيب في تكوينه وفي طبيعته وفي نفسيته وفي عقله، بل في شخصية كل فرد من أفراده.

وق اجتمعـت فيـه نوازع الفسـاد من جهة، وبواعث الخـير والصلاح من جهة اخـرى. فمن جهة قـد جبـل على العواطـف والغرائز من حب النفس، والهـوى، والاثرة، واطاعة الشـهوات، وفطر على التغلب والاسـتطالة والاستيلاء على ما سواه، والتكالب على الحياة الدنيا وزخارفها ومتاعها، كما قال الله تعـالى: ﴿إِنَّ الإنسـانَ لَفـي خُسرٍ﴾[٢٦] و﴿إِنَّ الإنسـان لَيَطغـى * أن رَآهُ اسـتَغنى﴾[٢٧] ﴿إِنَّ النَّفسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[٢٨] الى غير ذلك من الآيات المصرحة والمشيرة الى ما جبلت عليه النفس الانسانية من العواطف والشهوات.

ومن الجهة الثانية، خلق الله تعالى فيه عقلاً هادياً يرشده الى الصلاح ومواطن الخير، وضميراً وازعاً يردعه عن المكنرات والظلم، ويؤنبه على فعل ما هو قبيح ومذموم.

ولا يزال الخصام الداخلي في النفس الانسـانية مسـتعراً بين العاطفة والعقل، فمن يتغلب عقله على عاطفته كان من الاعلين مقاماً، والراشدين في انسانيتهم، والكاملين في روحانيتهم.

ومن تقهقره عاطفته كان من الاخسرين منزلة، والمتردين انسانية، والمنحدرين الى رتبة البهائم.

وأشد هذين المتخاصمين مراساً على النفس هي العاطفة وجنودها، فلذلك تجد أكثر الناس منغمسين في الضلالة، ومبتعدين عن الهداية باطاعة الشهوات، وتلبية نداء العواطف ﴿وَما أكثَرُ الناسِ وَلَو حَرَصتَ بِمؤمنينَ﴾[٢٩].

على ان الانسان لقصوره وعدم اطلاعه على جميع الحقائق واسرار الاشياء المحيطة به، والمنبثقة من نفسه، لا يستطيع أن يعرف بنفسه كل ما يضره وينفعه، ولا كل ما يسعده ويشقيه، لا في ما يتعلق بخاصة نفسه، ولا في ما يتعلق بالنوع الانساني ومجتمعه ومحيطه، بل لا يزال جاهلاً بنفسه، ويزيد جهلاً أو ادراكاً لجهله بنفسه كلما تقدم العلم عنده بالاشياء الطبيعية والكائنات المادية.

وعلى هذا، فالانسان في أشد الحاجة ليبلغ درجات السعادة الى من ينصب له الطريق اللاحب، والنهج الواضح الى الرشاد، واتباع الهدى، لتتقوى بذلك جنود العقل حتى يتمكن من التغلب على خصمه اللدود اللجوج عندما يهيء الانسان نفسه لدخول المعركة الفاصلة بين العقل والعاطفة.

وأكثر ما تشتد حاجته الى من يأخذ بيده الى الخير والصلاح عندما تخادعه العاطفة وتراوغه – وكثيراً ما تفعل – فتزين له أعماله، وتحسن لنفسه انجرافاتها، اذ تريه ما هو حسن قبيحاً، وما هو قبيح حسناً، وتلبس على العقل طريقه الى الصلاح والخير والسعادة والنعيم، في وقت ليس له تلك المعرفة التي تميِّز له كلَّ ما هو حسن ونافع، وكلَّ ما هو قبيح وضار.

وكلُّ واحد منّا صريع لهذه المعركة من حيث يدري ولا يدري، إلاّ من عصمه الله تعالى.

ولأجل هذا يعسر على الانسان المتمدن المثقف – فضلاً عن الوحشي الجاهل – أن يصل بنفسه الى جميع طرق الخير والصلاح، ومعرفة جميع ما ينفعه ويضره في دنياه وآخرته في ما يتعلَّق بخاصة نفسه أو بمجتمعه ومحيطه، مهما تعاضد مع غيره من أبناء نوعه ممن هو على شاكلته، وتكاتف معهم، ومهما قام بالاشتراك معهم في المؤتمرات والمجالس والاستشارات.

فوجب أن يبعث الله تعالى في الناس رحمة لهم ولطفاً بهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلِّمهم الكتاب والحكمة[٣٠] وينذرهم عما فيه فسادهم، ويبشرهم بما فيه صلاحهم وسعادتهم[٣١].

وقفة مع بعض الروايات

التأمُّل في جملة من الروايات المنقولة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام يظهر بجلاء ووضوح الكثير من البراهين والادلة القطعية حول لزوم بعثة الانبياء عليهم السلام الى البشرية، وهذا ما سنحاول سوية سبر بعض أغواره عبر بعض صفحات كتابنا هذه إن شاء الله تعالى.

فمن ذلك ما رواه هشام بن الحكم عن أبي عبدالله الصادقعليه السلام وجوابه عن سؤال أحد الزنادقة له: من أين أثبتَّ الانبياء والرسل؟

حيث قال عليه السلام: انّا لما أثبتنا ان لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا عن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً، لم يجز أن يشاهده خلقه، ولا يلامسوه فيباشرهم ويباشروه، ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أن له سفراء في خلقه يعبرون عنه الى خلقه وعباده، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي بركه فناؤهم، فثبت المرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، والمعبرون عنه جل وعز هم الانبياءعليهم السلام وصفوته من خلقه، حكماء مودَّبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس – على في مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب – في شيء من أحوالهم، مؤيدين من عند العزيز الحكيم العليم بالحكمة، ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان مما أتت به الرسل والانبياء من الدلائل والبراهين، لكيلا تخلو أرض من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقالته، وجواز عدالته(٣٢).

وعن منصور بن حازم قال: قلت لابي عبداللهعليه السلام: ان الله تعالى أجل وأكرم من أن يُعرف بخلقه، بل الخلق يُعرفون بالله.

قالعليه السلام: صدقت.

قلت: ان من عرف أن له رباً فقد ينبغي له أن يعرف ان لذلك الرب رضا وسخطاً، وانه لا يعرف رضاه وسخطه إلاّ بوحي أو رسول، فمن لم يأته الوحي فقد ينبغي له أن يطلب الرسل، فاذا لقيهم عرف أنهم الحجة، وان لهم الطاعة المفترضة(٣٣).

وفي رواية اخرى عن يونس بن يعقوب تتحدث عن لزوم نصب الامامعليه السلام للامة من قبل الله تبارك وتعالى، نوردها لتوافقها مع الغرض الذي نتعرض له من لزوم نصب الانبياءعليهم السلام كما هو معروف.

قال يونس: كان عند أبي عبداللهعليه السلام جماعة من أصحابه منهم: حمران بن أعين، ومحمد بن النعمان، وهشام بن سالم، والطيار، وجماعة فيهم هشام بن الحكم، وهو شاب، فقال أبو عبداللهعليه السلام: يا هشام، ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد(٣٤)؟ وكيف سألته؟

فقال هشام: يا ابن رسول الله، اني أجلك وأستحييك، ولا يعمل لساني بين يديك.

فقال أبو عبداللهعليه السلام: اذا أمرتكم بشيء فافعلوا.

فقال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد، وجلوسه في مسجد البصرة، فعظم ذلك عليَّ، فخرجت اليه ودخلت البصرة يوم الجمعة، فأتيت مسجد البصرة، فاذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متزراً بها من صوف، وشملة مرتدياً بها، والناس يسألونه، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتيَّ، ثم قلت: أيها العالم، أني رجل غريب، تأذن

لي في مسألة؟

فقال لي: نعم.

فقلت له: ألك عين؟

فقال: يا بني أي شيء هذا من السؤال؟! وشيء تراه كيف تسأل عنه؟!

فقلت: هكذا مسألتي.

فقال: يا بني سل وان كانت مسألتك حمقاء.

فقلت: أجبني فيها.

قال لي: سل.

قلت: ألك عين؟

قال: نعم!

قلت: فما تصنع بها؟

قال: أرى بها الالوان والاشخاص!

قلت: فلك أنف؟

قال: نعم!

قلت: فما تصنع به؟

قال: أشم به الرائحة!

قلت: ألك فم؟

قال: نعم!

قلت: فما تصنع به؟

قال: أذوق به الطعم!

قلت: فلك اذن؟

قال: نعم!

قلت: فما تصنع بها؟

قال: أسمع بها الصوت!

قلت: ألك قلب؟

قال: نعم!

قلت: فما تصنع به؟

قال: أميز به كل ما ورد على هذه الجوارح والحواس!

قلت: أو ليس في هذه الجوارح غنى عن هذا القلب؟

فقال: لا.

قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة؟

قال: يا بني ان الجوارح اذا كشت في شيء شمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته ردته الى القلب، فيستيقن اليقين ويبطل الشك.

قال هشام: فقلت له: فانما أقام الله القلب لشك الجوارح؟

قال: نعم.

قلت: لا بد من القلب وإلاّ لم تستيقن الجوارح؟

قال: نعم.

فقلت له: يا أبا مروان، فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها اماماً يصحح لها الصحيح ويتقن به ما شك فيه ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واخلافهم لا يقيم لهم اماماً يردون اليه شكهم وحيرتهم ويقيم لك اماماً لجوارحك ترد اليه حيرتك وشكك؟

قال: فسكت ولم يقل لي شيئاً، ثم التفت اليَّ فقال لي: أنت هشام بن الحكم؟

فقلت: لا.

قال: أمن جلسائه؟

قلت: لا.

قال: فمن أين أنت؟

قال: قلت: من أهل الكوفة.

قال: فأنت اذا هو.

ثم ضمني اليه وأقعدني في مجلسه، وزال عن مجلسه وما نطق حتى قمت.

قال: فضحك أبو عبدالله عليه السلام وقال: يا هشام، من علمك هذا؟

قلت: شيء أخذته منك وألفته.

فقال عليه السلام: هذا والله مكتوب في صحف أبراهيم وموسى عليهما السلام[٣٥].

الباب الثاني

خصائص الأنبياء وأهدافهم

المدخل

ليس ثمة شـك بأن الاتسـام بجملة مواصفات معينة ومحددة يعد من المسـتلزمات الضرورية التي يجب أن يتسم بها بعض الافراد من ذوي المسؤوليات التخصصية المناطة بهم، والموكل تنفيذها وادائها بشخصياتهم.

ولا يعـد هذا الامر من الجوانب الاستحسـانية التي قد يتوهم البعـض أن خلو اولئك الافراد منها ليـس بقادح أو ضار بهـم، وبالتالي بالدور والأمر المناط تنفيذه بهم، لان هذه الصفات الخاصة تعد من المسـتلزمات التـي ينعكس عدم توفرهـا على حقيقة اداء الصفـات الاخرى وقيمتهـا الذاتية، وهذا ما سنتعرَّض له لاحقاً بالشرح والتفصيل في صفحات كتابنا اللاحقة باذن الله تعالى.

ومـن هنا فان الحديث عن الصفات الخاصة والعامة للانبياء عليهم السلام بعد المواضيع الهامة والحساسـة في العقائد السـماوية، بل ومن الحقائق الكبرى التي ينبغـي أن لا يتجاوزها البعض دون مزيد من البحث والتقصّي في مجمل الجوانب والتفرُّعات المتصلة بها، والمتفرَّعة عنها.

ولا غـرو في ذلـك، فاذا اعتبرنا بان هؤلاء الرسـل صفـوة الخلق وخلاصته، والنخبـة المختارة من عمـوم البـشر على امتداد الدهور والعصور، ومـن اختارهم الله تبارك وتعـالى لان يكونوا قادة لعموم البشريـة، وسـفراء بينه وبين عباده، وحججـه الكبرى عليهم، فان ذلك الامر يتطلَّب اتسـاهم بجملة معينـة من الصفات تدفعهم لتسـنم القمم السـامقة في مجمل النواحي البشرية لكـي يكونوا بحق المثل الاعلى، والقدوة المثلى لعموم الناس، وهو أم بديهي ولا مناص من وقوعه.

ومـن هنـا فـان التعرُّض لهـذا الموضـوع يتطلَّب مزيد دقة، وشـدة اسـتجلاء، واخضـاع كل ذلك للمرتكزات العقائدية السماوية الثابتة، وقواعدها الراكزة.

أقول: ان عموم الانبياء عليهم السلام يتسمون بجملة من المواصفات والخصائص المعيَّنة التي يمكن تبويبها ضمن المرتكَزين التاليين:

١ - الصفات العامة: وهي جملة الصفات والخصائص التي يشارك بها الانبياء غير من البشر، ويتوافقون فيها معهم، كسلامة الجسم من العيوب والنقائص، والتمتع بجملة من الفضائل النفسية والخلقية التي يستدعي نقصها نفرة الناس وابتعادهم عنهم.

ومن هنا فانا نراهم حكماء، كرماء، صابرين، ذوي شجاعة متميزة، ومن أصول طيبة وأعراق طاهرة، ولا نراهم أبداً حمقى، ولا بخلاء، ولا جبناء، ولا ذوي غلظة، ولا ولدوا من اُمهات عاهرات وآباء أخساء، وغير ذلك من الصفات المذمومة أو الرذيلة التي تقدح بمكانتهم ومنزلتهم واحترامهم بين الناس، وتقبل المجتمع لهم، واستعدادها للاصغاء لاحاديثهم وكلماتهم ومواعظهم، والاقتداء بهم في أعمالهم وتصرفاتهم وسلوكياتهم.

وبالتحديد فه القدوة الحسنة التي يتخذها الانسان في حياته ليسمو في عالم الفضائل والكرامة.

٢ - الصفات الخاصة: ويراد بها الصفات والخصائص التي لا يشاركهم بها أحد من الخلق، بل هي منحصرة بهم فحسب، ومن مواصفات النبوة ومستلزماتها وشروطها التي تميزها عن غيرها، كالعصمة، واتيان المعجز، وتلقي الوحي من قبل الله تبارك وتعالى، وغيرها.

الفصل الاول

صفات الانبياء العامة

لا يختلف اثنان في أن الانبياء والمرسلين عليهم السلام هم بشر كعامة البشر، خلقوا كما خلق الآخرون، ويعيشون كما عاش الآخرين، فهم من لحم ودم وأعصاب وخلايا، يأكلون كما يأكل الناس، ويمرضون كما يمرض الناس، وينكحون ويتوالدون ويتألمون، وغير ذلك من المواصفات البشرية الاخرى.

قال الشيخ المفيد رحمه الله: إن رسُل الله تعالى من البشر وأنبياءه والائمة من خلفائه عليهم السلام محدثون مصنوعون، تلحقهم الآلام، وتحدث لهم اللذات، وتنمي أجسامهم بالاغذية، وتنقص على مرور الزمان، ويحل بهم الموت، ويجوز عليهم الفناء، وعلى هذا اجماع أهل التوحيد، وقد خالفنا فيه المنتمون الى التفويض، وطبقات الغلاة[٣٦].

نعم، ان هذه الحقيقة الثابتة لا مراء من التسليم بها، والقول بواقعيتها، وتوافقها مع جملة المرتكزات العقائدية التي يؤمن بها جميع المسلمين باستثناء من تقدم ذكرهم في قول شيخنا المفيد رحمه الله بيد أن من الثابت الصحيح أيضاً تميُّز هؤلاء الصفوة من عباد الله تعالى بجملة معينة من الصفات الحساسة والهامة التي يشترط توفرها فيهم، واتسامهم بها، مع عدم الغاء مشاركة الآخرين لهم فيها.

نعم، ومن هذه الصفات كما يذكر العلاّمة الحلي رحمه الله: ان يكون منزهاً عن دناءة الآباء، وعهر الأُمهات، وعن الرذائل الخلقية، والعيوب الخَلقية، لما في ذلك من النقص، فيسقط محله من القلوب، والمطلوب خلافه[٣٧].

وحيث أوضح ذلك العلامة السيوري في شرحه له، حيث قال: لما كان المطلوب من الخلق هو الانقياد التام للنبي، واقبال القلوب على، وجب أن يكون متصفاً بأوصاف المحامد، من كمال

العقل، والذكاء، والفطنة، وعدم السهو، وقوة الرأي، والشهامة، والنجدة، والعفو، والشجاعة، والكرم والسخاوة، والجود، والايثار، والغيرة، والرأفة، والرحمة، والتواضع، واللين، وغير ذلك.

وأن يكون منزهاً عن كل ما يوجب التنفير عنه، وذلك اما بالنسبة الى الخارج عنه: فكما في دناءة الآباء، وعهر الأُمهات.

وأما بالنسبة اليه، فاما في أحواله: فكما في الاكل على الطريق، ومجالسة الاراذل، وأن يكون حائكاً، أو حجاماً، أو زبالاً، أو غير ذلك من الصنائع الرذيلة.

وأما في أخلاقه: فكالحقد، والجهل، والخمود، والحسد، والفظاظة، والغلظة، البخل، والجبن، والجنون، والحرص على الدنيا والاقبال عليها، ومراعاة أهلها ومعافاتهم في أوامر الله تعالى وغير ذلك من الرذائل.

وأما في طباعه: فكالبرص، والجذام، والجنون، والبكم، والبله، والأبنة، لما في ذلك من النقص الموجب لسقوط محله من القلوب[٣٨].

وللمحقق الطوسي رحمه الله اشارة موجزة لهذا الموضوع يقول فيها: ومن الصفات الواجبة في النبي كمال العقل، والفطنة، وقوة الرأي، وعدم السهو، وكل ما ينفر عنه من دناءة الآباء، وعهر الأُمهات، والفظاظة، والأبنة وشبهها، والأكل على الطهر وشبهه.

وحيث علق على ذلك العلاّمة الحلي رحمه الله بقوله: يجب أن تكون في النبي‏عليه السلام هذه الصفات التي ذكرها، أي يجب في النبي كمال العقل، وذلك ظاهر، وأن يكون في غاية الذكاء والفطنة، وقوة الرأي بحيث لا يكون ضعيف الرأي، متردداً في الأُمور متحيراً، لان ذلك من أعظم المنفرات عنه.

وأن لا يصح عليه السهو، لئلا يسهو عن بعض ما أُمر بتبليه.

وأن يكون منزهاً عن الفظاظة والغلظة، لئلا تحصل النفرة عنه.

وأن يكون منزهاً عن الامراض المنفرة، نحو الابنة، وسلس الريح، والجذام، والبرص، وعن كثير من المباحات الصارفة عن القول منه، القادحة في تعظيمه، نحو الاكل على الطريق، وغير ذلك، لان كل ذلك مما ينفر عنه، فيكون منافياً للغرض من البعثة[٣٩].

أقول: ان اشتراط وجود وتوفر هذه الصفات الحسنة والمحببة في النبي أو المرسَل‏عليه السلام من الامور التي لا يمكن بأي حال من الاحوال التساهل بها، والتلميح بامكانية عدم وجودها، لان في ذلك تقليل من شخصية ذلك الوسيط المصطفى من بين العباد لهداية الناس، وانتشالهم من الضياع والتخبُّط، وما

يعنيه هذا من التوهين به والاستخفاف به لامور خلقية أو أخلاقية، واعراض الناس عن الاستماع له، وتقبل توجيهاته وتحذيراته، وحيث يكون للشخص المتسم بهذه الصفات الجمالية الاثر النفسي المعلوم والسابق لبعثة هذا الرسول في قلوب الناس، وما يترتب على ذلك بالتالي من آثار دعوته السماوية التي أخذ يبشر بها بعد أن عرف منه الناس كل المظاهر الحسنة، والصفات الطيبة، والخصال الحميدة.

الفصل الثاني

صفات الانبياء الخاصة

تعرّضنا في حديثنا السابق حول مسألة وجوب اتسام الانبياءعليهم السلام بجملة الصفاة، بعضها خاصة بها لا يشاركهم فيها غيرهم من الناس، وبعضها عامة يمكن لغيرهم مشاركتهم فيها، والاتصاف بها.

كما انّا أشرنا في مجمل حديثنا السابق الى ان اتسام هؤلاء الانبياء والمرسلينعليهم السلام بهذه الصفات العامة – التي يمكن أن يشاركهم فيها غيرهم من البشر – أمر الزامي ولا بد منه، وأنه لا محيص من القول باتسامهم بها، لانها من مكملات الشخصية البشرية التي تستدعي بالآخرين الى احترامه وتبجيله وتكريمه، تسهيلاً لعمل النبوة التبليغي والاشرافي الذي أُنيط به، وهو مر واضح وجلي.

ومن ثم فانّا تعرَّضنا في الفصل السابق أيضاً الى توضيح جملة من هذه الصفات العامَّة، مستدلين من خلالها على جملة من الثوابت التي ترتبط بهذا الموضوع، وبشكل مختصر موجز، وسنحاول هنا التعرُّض الى موضوع الصفات الخاصة التي لا يمكن أي يتسم بها أو يتصف بموصفاتها إلاّ الانبياءعليهم السلام فحسب.

أولاّ: الوحي السماوي

المدخل

من المسلَّمات الثابتة ان للذات الخاصة بالانبياءعليهم السلام نوعاً خاصاً من الطهارة والنقاء المتميَّزين اللذين يجعلان من أرواحه شفافة ونقية تحلِّق بسهولة ويسر في عالم الملكوت الاعلي، والنقاء المقدس.

ولا ريب بان هذا النقاء يجعل في ذات النفس مرتكزاً رحباً للتواصل الفكري المبرمج

مـع السـماء وتوجيهاتهـا وتعليماتها، فلا وجـود للتعثر والتلكأ بأي أشـكاله وصوره ضمـن هذا المبنى العظيم.

وعموماً فانّا سـنحاول سـوية التعرُّض - خلال الصفحات التالية ان شـاء الله تعالى - الى الجوانب المختلفة بالوحي ضمن تقسيماته المختلفة، والله تعالى هو الموفق للصواب.

الوحي في بعض آيات القرآن الكريم

كثيرة هي الآيات المباركة التي تشير الى الوحي المقدَّس بين الله تبارك وتعالى وبين عباده من الانبياء والمرسلين عليهم السلام وبيان أنواعه وأشكاله، وسنحاول هنا التعرُّض لبعض تلك الآيات تبرُّكاً واستشهاداً.

قال سـبحانه وتعالى في سـورة النحـل: ﴿وَأوحى رَبُّكَ الى النَّحـلِ أنِ اتخِذي مِنَ الجِبـالِ بُيوتاً وَمِنَ الشَّـجَرِ وَمِمّا يَعرِشـونَ * ثُـمَّ كُلي مِن كُلِّ الثَمَراتِ فَاسـلُكي سُـبُلَ رَبِّكَ ذُلُلاً يَخرُجُ مِـنْ بُطُونِها شَرابٌ مُختَلِفٌ ألوانُهُ فيهِ شِفاءٌ لِلناسِ إنَّ في ذلِكَ لآيَةٌ لِقَومٍ يَتَفَكَّرونَ﴾[٤٠].

وقال تبارك وتعالى في سورة طه: ﴿وَلا تَعجَل بِالقُرآنِ مَنْ قَبلِ أن يُقضى اليكَ وَحيُهُ وَقُل رَبِّ زِدني عِلماً﴾[٤١].

وفي سـورة الفرقان قال جلَّ اسـمه: ﴿وَقالَ الَّذينَ كَفَروا لَولا نُزِّلَ عَليهِ القُرآنَ جُملةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَرَتَّلناهُ تَرتيلاً﴾[٤٢].

وقال جلَّ اسمه في سورة الشعراء: ﴿وَإنَّهُ لَتَنزيلُ رَبِّ العالَمينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمينُ * على قَلبِكَ لِتَكونَ مِنَ المُنذِرينَ * بِلِسانٍ عَربي مُبينٍ﴾[٤٣].

وقال سبحانه وتعالى في سورة القصص: ﴿وَأوحَينا الى أُمِّ مُوسى أن أرضِعيهِ فَاذا خِفتِ عَليهِ فَألقيهِ في اليَمِّ وَلا تَخافي وَلا تَحزَني إنّا رادوهُ اليكِ وَجاعِلوهُ مِنَ المُرسَلينَ﴾[٤٤].

وقال عزَّ قائل في سـورة الشـورى: ﴿وَمـا كانَ لِبَشَرٍ أن يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاّ وَحيـاً أو مِنْ وَراءِ حِجابٍ أو يُرسِـلَ رَسُـولاً فَيوحي بِإذنِهِ ما يَشـاءُ إنَّهُ عليٌ حَكيـمٌ * وَكَذلِكَ أوحَينا اليكَ روحاً مِـنْ أمرِنا ما كُنتَ تَـدري ما الكِتابُ وَلا الإيمانُ وَلكِن جَعَلناهُ نُوراً نَهدي بِهِ مَنْ نَشـاءُ مِـنْ عِبادِنا وَإنَّكَ لَتَهدي الى صِراطٍ مُستَقيمٍ﴾[٤٥].

الوحي السماوي وأنواعه

قال الراغب الاصفهاني: أصل الوحي الاشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمر وحيٌ، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض.

وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وباشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة...[٤٦]

وقال ابن منظور: الوحي: الاشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته الى غيرك[٤٧].

وأما الفراهيدي فقد ذكر في كتاب العين: يقال: وحي يحيي وحياً، أي كتب يكتب كتباً.

وأوحى الله اليه، أي بعثه . واوحى اليه: ألهمه[٤٨].

وتعرَّض الطريحي في مجمع البحرين الى مجمل التفسيرات السابقة مع استشهادات له مختلفة من كتاب الله العزيز[٤٩].

وقال الشيخ المفيد رحمه الله: أصل الوحي هو الكلام الخفي، ثم قد يُطلق على كل شيء قُصِد به إفهام المخاطَب على السر له عن غيره، والتخصيص له به دون من سواه.

واذا اُضيف الى الله تعالى كان في ما يخص به الرسل عليهم السلام خاصة دون من سواهم على عرف الاسلام وشريعة النبي صلى الله عليه وآله[٥٠].

أقول: ان التأمُّل والتفحُّص في مجمل الآيات القرآنية المباركة المتقدّمة وغيرها من التي تعرَّضت الى عملية الوحي الالهي، وكذا في مضمون التعريفات والاقوال والآراء مختلفة[٥١] يمكن تعريفها بما يلي:

١ - الالهام بمصاديقه المختلفة حيث يلقي الله تبارك وتعالي في روع ذلك النبي عليه السلام ما يشاء وما يرد، وعندها يتلقى ذلك النبي ما اُبلغ باعتماد طاقته الروحية العالية المتميِّزة التي أشرنا اليها آنفاً.

٢ - الرؤيا الالهامية التي يجعلها الله تعالى لانبيائه وحياً يلقي اليهم بها ما يشاء وما يريد.

ومن مصاديق ذلك الالهام رؤيا خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام التي أمره الله تعالى بواسطتها ذبح ولده اسماعيل عليه السلام.

قال جلَّ اسمه في خصوص هذا الامر: ﴿فَبَشَّرناهُ بِغُلام حَليم * فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعي قالَ يا بُنيَّ إنِّي أرى في المنام أنِّي أذبَحُكَ فَانظُر ماذا تَرى قالَ يا أبتِ افعَلْ ما تُؤمَرُ سَتَجِدُني إنْ شاءَ اللهُ مِنَ الصّابِرينَ * فَلَمّا أسلَما وَتَلَّهُ لِلجَبينِ * وَنادَيناهُ أنْ يا إبراهيمُ * قَدْ صَدَّقتَ الرؤيا إنّا كَذلِكَ نَجزي المُحسِنينَ﴾[٥٢].

٣ - المخاطبة من وراء الحجاب، كالصوت المنبعث عن بعض الموجودات، أو من خلال الفضاء والهواء المتحرك ضمن أبعاده، وحيث يتسنى لاولئك الانبياء عليهم السلام ادراك ذلك الوحي بقدراتهم الخارقة والهائلة التي تنبعث من أرواحهم السامية وشفافيتهم واتصالهم بالملكوت الاعلى.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَما أتاها نُوديَ مِنْ شاطِيءِ الوادِ الأيمَنِ في البُقعَةِ المُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أنْ يا مُوسى إنِّي أنا اللهُ رَبُّ العالَمينَ﴾[٥٣].

٤ - التبليغ بواسطة أحد الملائكة كما في حال نزول جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى غيره من الانباء والمرسلين عليهم السلام وهو أمر واضح ومعلوم.

ومن ذلك قوله تعالى في سورة الشعراء:

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الامينُ * عَلى قَلبِكَ لِتَكونَ مِنَ المُنذِرينَ * بِلسانٍ عَرَبيٍ مُبينٍ﴾[٥٤].

٥ – الاخبار بواسطة مجموعة من الملائكة، وابلاغ ذلك النبيعليه السلام بأمر الله تبارك وتعالى.

ولهذا الامر شواهد متعددة في القرآن العزيز منها واقعة نزول الملائكة على لوط وابراهيمعليهما السلام.

قال الله تعالى في سورة هود: ﴿وَلَقَد جاءَت رُسُلُنا ابراهيمَ بِالبُشرى قالوا سَلاماً قالَ سَلامٌ فَما لَبِثَ أنْ جاءَ بِعِجلٍ حَنيذٍ * فَلَما رَاى أيديَهُم لا تَصِلُ اليهِ نَكِرَهُم وَأوجَسَ مِنهُم خِيفَةً قالُوا لا تَخَف إنّا أُرسِلنا الى قومِ لوطٍ﴾[٥٥].

وقال جلَّ اسمه في نفس السورة: ﴿وَلَمّا جاءَت رُسُلُنا لوطاً سيىءَ بِهِم وَضاقَ بِهِم ذَرعاً وَقالَ هذا يَومٌ عَصيبٌ * وَجاءَ قَومُهُ يُهرَعونَ اليهِ وَمِنْ قبلُ كانُوا يَعمَلونَ السَّيِّئاتِ قالَ يا قَوم هؤلاءِ بَناتي هُنَّ أطهَرُ لَكُم فَاتَّقوا اللهَ وَلا تُخزُونِ في ضَيفي أليسَ مِنكُم رَجُلٌ رَشيدٌ * قالُوا لَقَد عَلِمتَ ما لَنا في بَناتِكَ مِنْ حَقٍ وَإنَّكَ لَتعلَمُ ما نُريدُ * قالَ لَو أنَّ لِي بِكُم قُوَّةً أو آوي الى رُكنٍ شَديدٍ * قالُوا يا لوطُ إنّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلوا اليكَ فأسرِ بِأهلِكَ بِقطعٍ مِنَ اللَّيلِ وَلا يَلتَفِت مِنكُم أحَدٌ إلاّ امرَأتَكَ إنَّهُ مُصيبُها ما أصابَهُم إنَّ مَوعِدَهُمُ الصُبحِ أليسَ الصُبحُ بِقَريبٍ * فَلَمّا جاءَ أمرُنا جَعَلنا عاليها سافِلَها وَأمطَرنا عَلَيها حِجارَةً مِن سِجيلٍ مَنضودٍ * مُسَوَّمَةٌ عِندَ رَبِّكَ وَما هي مِنَ الظّالِمينَ بِبَعيدٍ﴾[٥٦].

وعموماً فاذا كانت هذا الاشكال المختلفة تشكِّل القنوات المتعدِّدة التي تنتقل من خلالها الأوامر والتوجيهات الالهية الى مجمل الأنبياء والمرسَلينعليهم السلام فان الأوضح في جميع ذلك التحديدات الثلاثة الشاملة الواردة في سورة الشورى المتقدِّم ذكرها: ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أن يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاّ وَحياً ...﴾ وحيث تقدَّم منّا الحديث عن مجمل هذه الاشكل المذكورة فيها.

وقد تعرَّض الشيخ الطبرسي رحمه الله في تفسيره الى هذه الآية فقال: ليس لأحد من البشر أن يكلِّمه الله تعالى (إلاّ) أن يوحى اليه (وحياً) وهو داودعليه السلام أوحي في صدره فزبر الزبور.

(أو من وراء حجاب) أي ويكلِّمه من وراء حجاب، وهو موسىعليه السلام.

(أو يرسل رسولاً) وهو جبرئيل، أُرسل الى محمدصلى الله عليه وآله وسلم.

وأضاف: وقيل معناه: ما كان لبشر أن يطلِّمه الله إلاّ بمثل ما يكلِّم به عباده من الامر بطاعته، والنهي عن معاصيه، وتنبيهه اياهم على ذلك من جهة الخاطر أو المنام وما أشبه ذلك على سبيل الوحي، وسماه وحياً لان الوحي في اللغة ما جرى مجرى الايماء والتنبيه على الشيء من غير أن يفصح به.

(أو من وراء حجاب) وهو أن يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه إلاّ من يريد أن يكلِّمه به، نحو كلامه لموسىعليه السلام لانه حجب ذلك عن جميع الخلق إلاّ عن موسىعليه السلام وحده، وفي المرة الثانية حجبه عن

جميع الخلف إلاّ عن موسى عليه السلام والسبعين الذين كانوا معه.

وقد يقال: انه حجب عنهم موضع الكلام الذي أقام الكلام فيه، فلم يكونوا يدرون من أين يسمعونه، لان الكلام عرض لا يقوم إلاّ في جسم، ولا يجوز أن يكون اراد بقوله ان الله تعالى كان من وراء حجاب يكلّم عباده، لان الحجاب لا يجوز إلاّ على الأجسام المحدودة.

وعنى بقوله (أو يرسل رسولاً فيوحي باذنه ما يشاء) ارساله ملائكته بكتبه وكلامه الى أنبيائه ليبلغوا ذلك عنه عباده، فهذا أيضاً ضرب من الكلام الذي يكلّم الله تعالى به عباده، ويأمرهم فيه، وينهاهم من غير أن يكلّمهم على سبيل ما كلّم به موسى عليه السلام وهو خلاف الوحي الذي ذكر في أول الآية، لأنه تنبيه خاطر وليس في افصاح [٥٧].

وأخيراً ونحن نطوي الحديث عن هذا الجانب من جوانب البحث في موضوع الوحي السماوي تجد من الضروري أن نعرج على ما ذكره شيخنا المفيد رحمه الله حول هذا الموضوع، وحيث تقدَّم منّا ذكر بعضه في مطلع حديثنا عند تفسيرنا لمعنى الوحي.

قال رحمه الله: أصل الوحي هو الكلام الخفي، ثم قد يطلق على كل شيء قصد به إفهام الخاطب على السر له عن غيره، والتخصيص له به دون سواه.

واذا اُضيف الى الله تعال كان في ما يخص به الرسل عليهم السلام خاصة دون من سواهم على عرف الاسلام وشريعة النبي صلى الله عليه وآله.

قال الله تعالى: ﴿وَأوحَينا الى أُمِّ موسى﴾ الآية[٥٨]، فاتفق أهل الاسلام على أن الوحي كان رؤيا مناماً، أو كلاماً سمعته أم موسى في منامها على الاختصاص.

قال الله تعالى: ﴿وَأوحى رَبُّكَ الى النَّحلِ﴾ الآية[٥٩]، يريد به الالهام الخفي، اذ كان خاصاً بمن افرده به دون من سواه، فكان علمه خاصلاً للنحل بغير كلام جهر به المتكلّم فأسمعه غيره.

وقال تعالى: ﴿وَإنَّ الشَّياطينَ لَيوحونَ الى أوليائِهِم﴾[٦٠] بمعنى ليوسوسون الى أوليائهم بما يلقونه من الكلام في أقصى أسماعهم، فيخصون بعلمهم دون سواهم.

وقال سبحانه: ﴿فَخَرَجَ على قَومِهِ مِنَ المِحرابِ فَأوحى اليهِم﴾[٦١] يريد به أشار اليهم من غير افصاح الكلام، شبّه ذلك بالوحي لخفائه عمن سوى المخاطبين، ولستره عمن سواهم.

وقد يُري الله سبحانه وتعالى في المنام خلقاً كثيراً ما يصح تأويله ويثبت حقه، لكنه لا يُطلق بعد استقرار الشريعة عليه اسم الوحي.

ولا يُقال في هذا الوقت لمن أطلعه الله تعالى على علم شيء انه يُوحى اليه.

وعندنا ان الله تعالى يُسمع الحجج بعد نبيه صلى الله عليه وآله كلاماً يُلقيه اليهم في علم ما يكون، لكنه لا يُطلق

عليه اسم الوحي لما قدّمناه، من اجماع المسلمين على انه لا وحي الى أحد بعد نبينا ﷺ وانه لا يُقال في شيء مما ذكرناه انه وحي الى أحد، ولله تعالى أن يُبيح اطلاق الكلام أحياناً ويحظره أحياناً، ويمنع السمات بشيء ويُطلقها حيناً، فأمّا المعاني فانها لا تتغيَّر عن حقائقها على ما قدّمناه[٦٢].

رسول الله ﷺ والوحي السماوي

لا خلاف بأن رسول الله ﷺ هو أكرم الرسل والانبياء عليهم السلام على الله تعالى، وان له من قبل الذات الالهية المقدسة اهتماماً خاصاً، ورعاية متميِّزة لا نجد لها نظيراً لدى غيره ممن سبقه من رسل الله تعالى وانبيائه.

وهذه الخاصية المشهودة والثابتة جعلت من الوجود المقدس للرسول الاكرم ﷺ ميداناً رحباً للعطاء والتكريم الالهي، وعلى أوسع صوره ومصاديقه المختلفة، ومن ذلك ما يختص بالوحي السماوي.

ولعل الاستقراء المتأمّل في كثير من الآيات القرآنية المباركة، والاحاديث الشريفة المنقولة لاهل بيت العصمة الاطهار عليهم السلام يظهر بجلاء بيّن أن للوحي المتصل برسول الله ﷺ أشكالاً متعددة ومختلفة يمكن أجمالها بما يلي:

١ – بواسطة جبرئيل عليه السلام وهو أمر ثابت ومعلوم، وقد تكرر وقوعه عند رسول الله ﷺ بشكل واسع وكبير حتى أصبح معلوماً لدى جميع المسلمين.

قال عبدالله بن عباس: سمعت انه نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ ستين ألف مرة[٦٣].

٢ – ملك عظيم كان أكبر من جبرئيل وميكائيل عليهما السلام جعله الله تعالى واسطة للوحي بينه وبين رسول الله ﷺ.

قال تعالى في سورة الشورى: ﴿وَكَذلِكَ أوحَينا اليكَ روحاً مِنْ أمرِنا﴾[٦٤].

روى أبو بصير قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذلِكَ أوحَينا اليكَ مِنْ أمرِنا ما كُنتَ تَدري ما الكِتابُ وَلا الإيمانُ﴾[٦٥].

فقال عليه السلام: خلقٌ من خلق الله تعالى أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله ﷺ يخبره ويسدده[٦٦].

٣ – أحد الملائكة الكبار كان مصاحباً لرسول الله ﷺ حتى قبل بعثته، كان أكبر أيضاً من الملكين المكرمين جبرئيل وميكائيل عليهما السلام كان يتولى رعايته ﷺ والاهتمام به.

قال الامام علي عليه السلام: ولقد قرن الله تعالى به ﷺ من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره[٦٧].

٤ - أشارت بعض الروايات الى ان بعض أشكال الوحي السماوي بين الله تبارك وتعالى وبين رسول الله ﷺ كان يمر عبر أمواج صوتية خاصة من بعض الجهات، وبشكل مباشر كما هو في حال كليم الله موسى بن عمران عليه السلام وفي بعض الاحيان بشكل الهام قلبي.

قال الشيخ المفيد رحمه الله: فأما الوحي من الله تعالى الى نبيه ﷺ فقد كان تارة باسماعه الكلام من غير واسطة، وتارة باسماعه الكلام على ألسن الملائكة(٦٨).

الوحي السماوي في الروايات

ذكرنا آنفاً أن جملة التأويلات والتفسيرات الخاصة باشكال الوحي السماري، وطرائقه المختلفة كانت تستنبط عبر الروايات المنقولة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام وقد أشرنا عرضاً الى جملة من تلك الروايات، وسنحاول في هذا القسم من هذا الفصل التعرُّض لبعض تلك الروايات تتميماً للفائدة، وتفصيلاً في البحث والمناقشة.

فمن ذلك ما رواه ابن شهرآشوب عن الحارث بن هشام انه سأل رسول الله ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟

فقال ﷺ: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشد عليَّ، فيفصم عن وقد وعيت ما قال.

وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً، فيكلِّمني فأعي ما يقول.

وروي أنه كان إذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل

وروي انه كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصَّد عرقاً.

وروى المجلسي في البحار عن المنتقى انه روي عن رسول الله ﷺ ان الوحي اذا غشيه ثقل على جسمه ما عشيه من أمر الله تعالى.

وروى هشام بن سالم قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: كان رسول الله ﷺ اذا أتاه الوحي من الله تعالى وبينهما جبرئيل عليه السلام يقول: هو ذا جبرئيل، وقال لي جبرئيل، واذا أتاه الوحي وليس بينهما جبرئيل تصيبه تلك السبتة، ويغشاه منه ما يغشاه لثقل الوحي عليه من الله عز وجل(٧١).

وروي انه كان اذا نزل عليه كرب لذلك ويربد وجهه، ونكس رأسه ونكس أصحابه رؤوسهم منه، ومنه يقال: برحاء الوحي(٧٢).

وروي عن الامام محمد الباقر عليه السلام انه قال: ما أنزل الله تبارك وتعالى كتاباً ولا وحياً إلاّ بالعربية، فكان يقع في مسامع الانبياء بألسنة قومهم، وكان يقع في مسامع نبينا ﷺ بالعربية، فاذا كلَّم به قومه كلَّمهم بالعربية، فيقع في مسامعهم بلسانهم، وكان أحد لا يخاطب رسول الله ﷺ بأي لسان خاطبه إلاّ

وقع في مسامعه بالعربية، كل ذلك يترجم جبرئيل عليه السلام له وعنه تشريفاً من الله عز وجل له صلى الله عليه وآله[٧٣].

وروى الاربلي في كشف الغمة عن كتاب اسماعيل بن أحمد البستي وهو من علماء العامة قال: علي بن أبي طالب عليه السلام: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فوجدته ورأسه في حجر دحية الكلبي، فسلَّمت عليه فقال لي دحية: وعليكم السلام، يا أمير المؤمنين، وفارس المسلمين، وقائد الغر المحجَّلين، وقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين.

ثم قال له: تعال فخذ رأس نبيك في حجرك فأنت أحق بذلك.

قال علي عليه السلام فلما دنوت من رسول الله وضعت رأسه في حجري لم أر دحية، وفتح رسول الله صلى الله عليه وآله عينه وقال: يا علي، من كنت تكلّم؟

قلت: دحية الكلبي

وقصصت عليه القصة، فقال لي: لم يكن دحية، وانما كان ذلك جبرئيل، أتاك ليعرفك ان الله تعالى سمّاك بهذه الاسماء[٧٤].

ثانياً: الاتيان بالمعجز

المدخل

لعل من البديهيات المتسالم عليها عند الجميع أن الاتيان بالمعجز من الصفات الثابتة والممكنة التي يهبها الله تبارك وتعالى لانبيائه ورسله عليهم السلام والتي تعد - بلا أدنى شك - من الامتيازات والصفات الخاصة بهم عليهم السلام المميَّزة لهم عن باقي البشر، والمضفية لهم جملة من القدرات الخارقة التي يعجز الباقي عن الاتيان بها.

والقدرة على الاتيان بالمعجز يعني توفر القدرة الخارقة غير الطبيعية لدى أولئك الانبياء والتي ترفعهم عن مستوى عموم الناس وقدراتهم البشرية المحدودة، بل ويعجز البشر عن مجاراتهم في ذلك ومماثلتهم.

والمعجزة في القرآن الكريم من الآيات والبراهين الدالة على صدق بنوة الانبياء، وصحة دعوتهم، حيث لا ينفك أي نبي من أن يطالبه العض بالاتيان بالمعجز عياناً وبشكل واضح لتطمئن لذلك القلوب، وتؤمن بدعواه.

ولقد حَّثنا القرآن الكريم بجملة متعددة من مظاهر الاعجاز هذه التي أتي بها أنبياء الله تعالى كموسى وعيسى وصالح وابراهيم عليهم السلام بل ومثل هذا الامر ما يختص بنبي الاسلام محمَّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله.

المعجزة تحت المجهر

لا يعد بمستبعد أن تهب الله تعالى لجملة من عباده بعض القدرات الخارقة التي ترفعهم من خلالها فوق القدرات البشرية المألوفة والمقطوع بعجز غير أولئك عن الاتيان بها.

أقول: ان الاتيان بالمعجز لا يلغي اعتبار ذلك النبي أو المرسَل عليه السلام من صنف لا يمت الى عالم البشرية بشيء، أو نسبه جهلاً الى الالهوية التي تدفع الى حد الكفر والاشراك.

نعم، لا أحد يقول بذلك إلاّ المخرِّفون والحمقى الذين لا يدركون حقائق صفات الانبياء، وأبعاد قدراتهم البشرية من خلال الفيض الالهي، والعطاء السماوي المبارك الذي يهبهم هذه القدرات المتميَّزة بحكمة وتدبير.

ان المعجزات الخارقة التي أتى بها الانبياء والمرسَلون عليهم السلام ليست هي من صنعهم وفعلهم الذاتي قطعاً، ولا يمكن القول بقدرتهم على الاتيان بها واحداثها بمفردهم، بل هي من صنع الله تبارك وتعالى أجراها على أيديهم المباركة، تصديقاً لدعواهم، وتأييداً لهم، وهذا ما يخبرنا به القرآن الكريم صراحة، وتوافقه على ذلك الروايات الصحيحة المنقولة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام بل ويعاضد كل ذلك الدليل العقلي الذي لا خلاف فيه.

ولا غرابة في ذلك، فاذا كان الانبياء بشراً فان جميع ما ينطبق على البشر ينطبق عليهم، ولكن لعظم الدور الذي اضطلعوا فيه، وخطورة المهمة المناطة بهم، وعظم التحدي المواجه لهم، كان لابد أن يضع الله تعالى تحت تصرفهم جملة متميِّزة من القدرات الخارقة للعادة، والتي تميِّزهم عن الآخرين، بل وحتى عن منتحلي صفة النبوة من المشعوذين والمزيفين، والذين جهدوا في أن يضفوا على أنفسهم صفة النبوة المباركة والكريمة، وهو أمر حدثنا عنه التأريخ كثيراً، كما في حال مسيلمة وسجاح وغيرهما من الافّاقين والمخادعين.

ومن هنا فقد كان ينبغي لانبياء الله الصادقين عليهم السلام من أدلة وبراهين يعجز هؤلاء المشعوذين عن الاتيان بها لالقامهم حجراً، وفضح كذب دعاواهم المزيفة والباطلة، وإلاّ لضاع الحق واختلط بالباطل، واختلت الموازين ولم يعرف الصادق من الكاذب إلاّ بالجهد الجهيد، والبحث والتقصي الدقيقين اللذين يثقل على الكثير من الناس اتباعهما واقتفاء آثارهما، فكان هذا الامر لطفاً الهياً، وكرماً سماوياً لا حدود لعطائه وآثاره المباركة.

قال المحقِّق الطوسي رحمه الله: وطريق معرفة صدقه (أي النبي أو المرسّل) ظهور المعجزة على يده، وهو ثبوت ما ليس بمعتاد، أو نفي ما هو معتاد، مع خرق العادة ومطابقة لدعوى.

وقال العلامة الحلي رحمه الله شارحاً لهذا القول: نعني بالمعجزة ثبوت ما ليس بمعتاد، أو نفي ما هو

معتاد، مع خرق العادة ومطابقة الدعوى، لان الثبوت والنفي سواء في الاعجاز، فانه لا فرق بين قلب العصا حية، وبين منع القادر عن رفع أضعف الاشياء.

وشرطنا خرق العادة لان فعل المعتاد أو نفيه لا يدل على الصدق، وقلنا مع مطابقة الدعوى لان من يدعي النبوة، ويسند معجزته الى ابراء الاعمى فيحصل له الصمم مع عدبرء الاعمى لا يكون صادقاً

ولا بد في المعجزة من شروط:

أحدها: أن يعجز عن مثله أو عما يقاربه الأُمة المبعوث اليها.

الثاني: ان يكون من قبل الله تعالى أو بأمره.

الثالث: أن يكون في زمان التكليف، لان العادة تنتقض عند أشراط الساعة.

الرابع: أن يحدث عقيب دعوى المدعي للنبوة، أو جارياً مجرى ذلك، ونعني بالجاري مجرى ذلك أن تظهر دعوة النبي في زمانه، وانه لا يدعي النبوة غيره ثم يظهر المعجزة بعد أن يظهر معجزاً آخر عقيب دعواه، فيكون ظهور الثاني كالمتعقِّب لدعواه، لانه يعلم تعلّقه بدعواه، ولانه لأجله ظهر كالذي عقيب دعواه.

الخامس: أن يكون خارقاً للعادة(٧٥).

روى الصدوق عن أبي بصير انه قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام: لأي علة أعطى الله عز وجلَّ أنبياءه ورسله، وأعطاكم المعجزة.

فقال عليه السلام: ليكون دليلاً على صدق من أتى به، والمعجزة علامة لله تعالى لا يعطيها إلاّ أنبياءه ورسله وحججه ليعرف به الصادق من كذب الكاذب(٧٦).

وعموماً فان دور المعجزة في اثبات دعوى الانبياء والمرسلين عليهم السلام وابطال مفتريات الافاقين والمخادعين من الأمور الحتمية التي يقتضيها العقل، ويسلِّم بها، وهو ما تقتضيه واجبات الرسالة ومناهج وأساليب الدعوة اليها، واقناع عموم الناس بها، وبالشكل الذي يتقضيه العصر الذي بُعث فيه ذلك النبي عليه السلام وهو ما سنتناوله بالبحث لاحقاً باذن الله تعالى.

وقفة صغيرة

تتعرَّض القواميس اللغوية الى الاعجاز أو المعجز بان اتيان البعض بشيء ما يستحيل على الآخرين مجاراته والاتيان به.

ولعل مرجع ذلك الى حقيقة العجز المقابل للامكان المتمثل بالقدرة كما يظهر بوضوح لمن تأمّل في حقيقة هذا الامر وطبيعته.

ومــن هنــا فــان كتـب اللغة تفسِّر العجــاز بانـه اتيـان الانسـان بـشيء يعجز خصمـه ويقصر دونه[٧٧].

بل وهو التأخُّر عن الشيء وحصوله عند عجز الامر أي مؤخره، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة[٧٨].

وقيل أيضاً: العجز: نقيض الجزم، عجز عن الامر يعجز وعجز عجزاً فيها.

وعجَّز فلان رأي فلان اذا نسبه الى خلاف الحزم، كأنه نسبه الى العجز.

والمعجزة واحدة معجزات الانبياء عليهم السلام[٧٩].

والخلاصـة في كل ذلـك: ان المراد بالمعجزة الفعل الخارق الذي يعجز عنه البشر عادة، وهي مقترنة بالانبياء عليهم السلام فان تجاوزتهم صارت كرامة تميِّز ذلك الانسان عن غيره من البشر[٨٠].

بين المعجزة والسحر

لما كان السـحر من الاعمال التي تخدع الناظر اليها، وتأتي بما هو من قبيل الاعمال الخارقة للعادات، فان البعض يتوهم بان هناك تقارب معين، وتلازم ما بين الاثنين، لما يرى من النتائج الخارقة والخارجة عن المألوف.

ولا يخفـى عـلى أحد بـان في هذا التصور كثير مجافـاة للمنطق وللحقيقة، ولاسـباب كثيرة واضحة وبيِّنة، والتي يمكننا الاشارة الى بعضها ضمن النقاط التالية:

١ – تعتمـد المعجـزة في حقيقتهـا على القدرة الالهيـة التي ترتكز على قواعد سـماوية متكاملة، حين تنبعث أعمال السحر من الفعل البشري ورغباته الشهوانية والمزاجية المنحرفة.

٢ – يحتاج فعل السـحر الى التعلم والشـعوذة، والتربية والاعداد، حين تنبعث المعجزة من قبل الله تعالى حيث يجريها على أيدي من يرتضيه من عباده الصالحين، من الانبياء والمرسلين عليهم السلام.

٣ – الغاية من الاتيان بالمعجزة هداية البشرية نحو عالم الفضيلة والرفعة، ومحاولة اقناع الناس بنبوة ذلك المرسَـل ورسـالته التي جاء بها من قبل الله تعال، خلاف من يأتي باعمال السـحر، حيث لا يهدف إلاّ الى ارضـاء رغباتـه الخاصة، وحاجته الذاتية، وكسـب المادة والشـهرة، وخداع السـذج من الناس والبسطاء.

بل وغير ذلك من الفروق الجوهرية الواضحة والمعلومة.

بين المعجزة والعلم

يعتقد البعض توهماً بان التقدم العلمي والتقني الذي تجاوز الكثير من الحلقات الغامضة والمستحيلة آنذاك في العرف البشري له تقارب وتقارن مع المعجزة التي كانت تذهل الناس وتحيرهم، وتأتي بما يعجزهم عن ادراكها والتوصل الى مكنوناتها.

بيد ان قليل من التأمل والتفحص يظهر بجلاء التفاوت الكبير بين الاثنين، وبالشكل ال١ي لا يسع أحد إلاّ القطع بان العلم مهما بلغ من قمة التطور والتقنية لا يستطيع بأي حال من الاحوال مجاراة المعجزة وادراك بعضاً منها.

كما ان هذا التأمل يقود الى تحديد جملة واسعة من الاختلافات بين الاثنين، والتي يمكن اجمال بعضها بما يلي:

١ - الانجازات العلمية تعتمد في قيامها على جملة القوانين والمعادلات العلمية المعروفة لدى العلماء والباحثين، وبالشكل الذي يمكن للبعض ممن يمكنه اعتماد عين هذه القواعد ومحاكاتها وانجازها حين نرى أن صدور المعجزة مرتبط بالقدرة الالهية البحتة، وبأسباب وعلل مجهولة بالنسبة للبشر، ولا يمكن - قطعاً - اخضاعها للموازين العلمية، بل ومعرفة كيفية تحقيق ما يشاكلها ويقارنها.

٢ - امكان تحقق الانجازات العلمية من قبل الكثيرين، وبنسب ومراحل متفاوتة، خلاف المعجزة التي لا تصدر إلاّ من قبل الله تعالى، وبمشيئته وحده.

٣ - تحقق الامكان في تطوير الانجاز العلمي، وامكان تشخيص علل النقص والعيب فيه، وهذا ما لا يمكن ادراكه بالنسبة للمعجزة الالهية.

بل وغير ذلك مما يمكن تحديده من الاختلافات الكبيرة والجوهرية بين الاثنين.

ولعل من الامثلة الحساسة التي يمكن تأملها هنا مسألة الاعجاز الالهي في انقاذ النبي ابراهيم الخليل(ع) من الاحتراق بالنار التي أُعدت للقضاء عليه وبشكل بشع ورهيب.

فما ان القي ابراهيم(ع) بعد صدور أمرهم الذي يحكيه الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿قالُو حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتُكُم إن كُنتُم فاعِلينَ﴾[٨١] حتى جاءت المعجزة الكبرى المفسَّرة في قوله تعالى: ﴿قُلنا يا نارُ كُوني بَرداً وَسَلاماً على ابراهيم * وَأرادوا بِهِ كَيداً فَجَعلناهُمُ الأخسَرينَ﴾[٨٢].

ولنا أن نتساءل: كيف كانت الكيفية التي أنقذت ابراهيم(ع) من الحرق في تلك النار الرهيبة والكبيرة؟ وكيف تحولت النار الى ما يخالفها من البرد والسلام؟ وما هي الوسائل العلمية التي استخدمت في سبيل ذلك؟

ان العلم الحديث يمكنه أن يوفِّر لمن يلج لهيب النار وسائلاً علمية متطورة تقيه الحرق، كالدروع

والالبسة الخاصة المتطور، ولكن ابراهيمعليه السلام لم يكن مرتد أي شيء من هذا القبيل.

ثـم ان الامـر لم يكن بانقاذهعليه السلام مـن الاحتراق في النار فحسـب، بل في تحوُّل النـار المحترقة الى برد وسـلام!! وهذا هو الامر الاكثر حيرة واسـتغراب في العقول التي تجرِّد ذلك من القدرات الالهية التي تخلق المعجز وتضفيه على صفوة الخلق من الانبياء والمرسلينعليهم السلام

نعـم ان هـذا التفاوت الرهيب بـين المعجزة وبين التقدم العلمي والتقني الذي حلَّق بعيداً في سـماء القرن الذي نعيشه الآن.

ولنتجـاوز قصـة ابراهيمعليه السلام مع النار، ولننتقل الى واقعة يونـسعليه السلام كيف التقمه الحوت وانحدر به الى أعماق البحر وظلماته الرهيبة، ولنتأمل كيف كانت المعجزة الالهية التي حفظته من الهلاك في جوف هذا الحيوان بكل ما فيه من انعدام الهواء والغذاء، والنور والضياء، والتعرض للهضم كباقي الاطعمة التي يلتهمها هذا الحيوان طيلة يومه، حين كان ذلك النبيعليه السلام مشغولاً بالدعاء والتسبيح وذكر الخالق الجبّار!!

كيـف بـالله عليك نفسِّر هذا الامر ونـبرره، بل وانى للعلم أن يتوصل الى مثـل هذا الاعجاز، وهو يوفر الاجواء الخاصة الملائمة للانسـان في داخل الغواصات المتطورة التي لا ينقص الانسـان فيها أي شيء... ان الفرق بين الاثنين شاسع وكبير، ولا تناسب بين الاثنين قطعاً بأي شكل من الاشكال.

بل وغير ذلك من المعجزات الهائلة التي أجراها الله تبارك وتعالى على أيدي أنبيائه ورسلهعليهم السلام والتي يقف العلم بكل امكانياته وقدراته حائراً مذهولاً، وعاجزاً كل العجز عن مجرد تفسـير بعض جوانبها الخاصـة بهـا، والمتعلقـة بكيفيتها، وهذا هـو السر في التفـاوت الكبير بين المعجزة وبـين العلم وقدراته المختلفة.

وعموماً فانّا سـنحاول التعرض الى البعض من أشـكال هذه المعجزات التي مرت في حياة العديد من الانبياء والمرسلينعليهم السلام في طيات صفحات كتابنا التالية ان شاء الله تعالى.

القرآن الكريم والمعجزة

في مطاوي كتاب الله العزيز الكثير من الآيات المباركة المتحدِّثة عن المعجزة ووقوعها وجريانها على أيـدي أنبياء الله ورسـلهعليهم السلام وحيث عبر عنها في أكثر موضع بالبينة، والآيـة، والبرهان، والتي تعد من مصاديق اثبات نبوة الانبياء لمحاجيهم ومناقشيهم والرادين عليهم.

واذا حاولنا أن نستعرض مجمل المعجزات النبوية التي تعرَّض لها القرآن الكريم فانّا سنجد بوضوح وجلاء كيف أن هذه المعجزات كانت تذهل الجميع، وبالخصوص اولئك المتخصصين بجانب من هذه

الاعمال التي تمسها هذه المعجزات، وتتعاطى معها تعاطياً غير مقدور على مجاراته ومشابهته.

فمن ذلك المحاججة بين فرعون وموسى عليه السلام كما في سورة الاعراف، حيث جاء بها: ﴿وَقالَ مُوسى يا فِرعَونَ إنِّي رَسولٌ مِنْ رَبِّ العالَمِينَ * حَقيقٌ على أنْ لا أقولَ على اللهِ إلاّ الحَقَّ قَد جِئتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُم فأرسِلْ مَعى بَني إسرائيلَ * قالَ إنْ كُنتَ بِآيَةٍ فَأتِ بِها إنْ كُنتَ مِنَ الصادِقينَ * فَألقى عَصاهُ فَاذا هي ثُعبانٌ مُبينٌ * وَنَزَعَ يَدّهُ فَاذا هي بَيضاءُ لِلناظِرينَ﴾[٨٣].

ومن ذلك أيضاً ما جاء عن المعجزة التي جاء بها نبي الله صالح عليه السلام والتي وردت بعض تفاصيلها في سورة الاعراف: ﴿وَالى ثَمودَ أخاهُم صالِحاً قالَ يا قَومِ اعبُدوا اللهَ ما لَكُم مِنْ إلهٍ غيرُهُ قَد جاءَتكُم بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُم هذهِ ناقَةُ اللهِ لَكُم آيَةً فَذَروها تَأكُل في أرضِ اللهِ ولا تَمَسُّوها بِسوءٍ فَيَأخُذَكُم عَذابٌ أليمٌ﴾[٨٤].

وفي سورة القسس وردت بعض تفاصيل المعجزات التي وهبها الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام: ﴿فَلَما قَضى موسى الأجَلَ وَسارَ بِأهلِهِ آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّور ناراً قالَ لأهلِهِ امكُثوا إنِّي آنستُ ناراً لَعَلي آتيكُم مِنها بِخَبَرٍ أو جَذوَةٍ مِنَ النّارِ لَعَلَّكُم تصطَلونَ * فَلَما أتاها نوديَ مِنْ شاطِيء الوادِ الأيمَنِ في البُقعَةِ المُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أنْ يا موسى إنِّي أنا اللهُ رَبُّ العالَمِينَ * وأنْ ألقِ عَصاكَ فَلَما رَآها تَهتَزُّ كَأنَّها جانٌ وَلي مُدبِراً وَلَم يُعَقِّبْ يا موسى أقبِل وَلا تَخَفْ إنَّكَ مِنَ الآمِنينَ * اسلُك يَدَكَ في جَيبِكَ تَخرُج بَيضاءَ مِنْ غَيرِ سُوءٍ وَاضمُم اليكَ جَناحَكَ مِنَ الرَّهبِ فَذانِكَ بُرهانانِ مِنْ رَبِّكَ الى فِرعَون وملائِهِ إنَّهُم كانُوا قَوماً فاسِقينَ﴾[٨٥].

ومن ذلك معجزات عيسى بن مريم عليه السلام والتي ورد جانب منها في سورة آل عمران: ﴿إذ قالَتِ المَلائِكَةُ يا مَريم إنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلمَةٍ منهُ اسمهُ المسيحُ عيسى بن مَريمَ وَجيهاً في الدنيا والآخِرةِ وَمنَ المُقَرَّبينَ * وَيكلِّم الناسَ في المَهدِ وَكهلاً وَمنَ الصالحين * قالت رَبِّ أنى يكونُ لي وَلدٌ ولم يَمسسني بَشرٌ قال كذلك اللهُ يخلقُ ما يَشاءُ اذا قضى أمراً فانَّما يقولُ له كُن فَيكونُ * وَيُعلِّمهُ الكتاب وَالحكمَةَ والتوراةَ والانجيلَ * وَرسولاً الى بني اسرائيلَ أنِّي قد جِئتُكم بآيةٍ مِنْ رَبِّكُم أنِّي أخلقُ لَكُم من الطينِ كَهيئَةِ الطيرِ فَأنفخُ فيهِ فيكون طَيراً باذنِ اللهِ وَأبريء الأكمَهَ والأبرَصَ وأُحيي المَوتى باذنِ اللهِ وأُنبِّئُكُم بِما تأكلونَ وَما تَدَّخرونَ في بُيوتِكُم إنَّ في ذلكَ لآيةٍ لَكُم إن كنتُم مؤمنينَ﴾[٨٦].

وغير ذلك مما يتعلق بمعجزات باقي الانبياء مما سنتعرض لايراد ومناقشة بعضه في الصفحات التالية ان شاء الله تعالى.

وقفة مع بعض معجزات الانبياء عليهم السلام

أشرنا في الصفحات السابقة الى جانب من معجزا بعض الانبياء عليهم السلام وبشكّل متعجل ومختصر، وسنحاول هنا ان نتناول بعض تلك المعجزات ومدى التأثير الكبير الذي أحدثته في التفكير السائد في تلك العصور، رغم المغالاة المفرطة في مواقف الاطراف المخالفة، وتشبثها بقدراتها وامكانياتها المتيسّرة لديها.

١ - الموقف الاول :

لعل من تلك المواقف الكبرى، والحقائق الخالدة للمعجزات الالهية اللقاء الكبير بين موسى عليه السلام وفرعون طاغية مصر آنذاك، ومن بلغ به التجبُّر والتكبُّر، وما ملكته يداه من القدرات العظيمة المختلفة، الى أن يدعي الربوبية والالوهية وينصاع له ولنزواته الكثيرون.

نعم فبعد المناقشة والمحاورة بين الاثنين كما تفصلها الآيات الواردة في سورة الشعراء: ﴿قالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فينا وَليداً وَلَبِثتَ فينا مِنْ عُمُرِكَ سنينَ * وَفَعَلتَ فَعلَتَكَ التي فَعَلتَ وَأنتَ مِنَ الكافرين﴾.

هكذا كان فرعون يحاجج موسى عليه السلام ويناقشه، فلم يكن من نبي الله تعالى وكليمه إلاّ أن يرد عليه: ﴿قالَ فَعَلتُها إذاً وَأنا مِنَ الضَّالينَ * فَفَرتُ مَنكُم لَمّا خِفتُكُم فَوَهَبَ لي رَبِّي حُكماً وَجَعَلَني مِنَ الْمُرسَلينَ * وَتِلكَ نِعمَةٌ عَلَيَّ أنْ عَبَّدتَّ بَني اسرائيلَ﴾.

وبعد أخذ ورد بينهما، ومحاولة فرعون ثني موسى عليه السلام عن رسالته وعن دعواه، لم يجد موسى عليه السلام حينها بداً من أن يفحم فرعون وملائه بالبراهين والمعجزات الالهية التي منَّ الله تعالى بها عليه، فقال مخاطباً فرعون: ﴿قالَ أَوَ لَو جِئتُكَ بشيْ مُبينٍ﴾ وهو المعجز والبرهان على نبوته عليه السلام.

فحسب فرعون أن موسى كاذب في دعواه، أو لعل ما يأتي به لا يقيم حجة، ولا يدفع أمراً، مخاطبه: ﴿قالَ فَأتِ بِهِ إنْ كُنتَ مِنَ الصّادِقينَ﴾.

وهنا توالت المعجزات من قبل موسى عليه السلام على فرعون وقومه ﴿فَألقى عَصاهُ فَاذا هي ثُعبانٌ مُبينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فاذا هي بَيضاءُ للناظِرينَ﴾.

ولما لم يجد فرعون وأتباعه حجة يدفعوا بها هذه المعجزات الكبري التي اهتزت لها عروشهم الخاوية، وقلوبهم الخائفة، لجأوا الى الكذب والتمويه على الناس بان ما جاء به موسى ليس إلاّ السحر، وانهم سيبطلونه بسحر آخر بواسطة عظماء سحرتهم ومشعوذيهم: ﴿قالُوا أرجِه وَأخاهُ وَابعَث في المَدائِنِ حاشِرينَ * يَأتُوكَ بِكُلِّ سَحّارٍ عَليمٍ﴾.

وهكذا جمع السحرة، وتصارعت المعجزة مع السحر، فكانت لها الغلبة بسهولة ويسر: ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِميقاتِ يَومٍ مَعلومٍ * وَقيلَ للناسِ هَلْ أنتُم مُجتَمِعونَ * لَعَلَّنا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إنْ كانوا هُمُ الغالبينَ

﴿فَلَمّا جاءَ السَّحَرَةُ قالُوا لِفِرعَونَ أئِنَّ لَنا لاجراً إن كُنّا نَحنُ الغالبينَ * قالَ نَعَم وَإنَّكُم إذاً لَمِنَ المُقرَّ بينَ * قالَ لَهُم موسى ألقُوا ما أنتُم مُلقُونَ * فَألقَوا حِبالَهُم وَعِصيَّهُم وَقالُوا بِعِزَّةِ فِرعَونَ إنّا لَنَحنُ الغالِبونَ * فألقى موسى عصاهُ فَاذا هي تلقّفُ ما يَأفِكونَ﴾(٨٧).

ولما أُفحم السحرة، وكانوا أعلم من غيرهم بأن ما أتى به موسى لم يكن سحراً قطعاً، ادركوا بان ما جاء به اعجاز سماوي لا يتأتى لغير الرسل والانبياء الاتيان به، فانقلبوا على أعقابهم، وأعلنوا ايمانهم بموسى وبما جاء به، ورفضهم لفرعون وما ينسبه لنفسه، حتى وان كان القتل البشع والرهيب مصيرهم بأيدي فرعون وأصحابه،: ﴿فَألقى السَّحَرَةُ ساجِدينَ * قالُوا آمَنّا بِرَبِّ العالَمِينَ * رَبِّ موسى وَهارونَ * قالَ آمَنتُم بِهِ قَبلَ أن آذَنَ لَكُم إنَّهُ لَكَبيرُكُمُ الذي عَلَّمَكُمُ السِّحرَ فَلَسَوفَ تَعلَمونَ لَأُقَطِّعَنَّ أيديَكُم وَأرجُلَكُم مِنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكم أجمَعينَ * قالُوا لا ضَيرَ إنّا الى رَبِّنا مُنقَلِبونَ * إنّا نَطمَعُ أنْ يَغفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا أنْ كُنّا أوَّلَ المُؤمِنينَ﴾(٨٨).

قال الشيخ الطبرسي رحمه الله في تفسيره لهذه الواقعة: لانهم (أي السحرة) لما رأوا تلك الآيات الباهرة علموا أنه أمر سماوي لا يقدر عليه غير الله تعالى:

فمنها: قلب العصا حية.

ومنها: أكلها حبالهم وعصيهم مع كثرتها.

ومها: فناء حبالهم وعصيهم في بطنه، اما بالتفرق واما بالفناء عند من جوزه.

ومنها: عودها عصا كما كانت من غير زيادة ولا نقصان.

وكل من هذه الأمور يعلم كل عاقل انه لا يدخل تحت مقدور البشر، فاعترفوا بالتوحيد والنبوة، وصار اسلامهم حجة على فرعون، وخلى سبيل موسى(٨٩).

٢ - الموقف الثاني:

من الوقائع التي قامت بها المعجزة السماوية على يد أحد أنبياء الله تعالى، هي قصة الحواريين والمائدة التي سألوا عيسى عليه السلام أن يسأل الله تعالى انزالها عليهم.

وقبل أن نشرع في ايراد هذه الواقعة لا بد لنا من أن نعرج قليلاً للتعرف على حواري عيسى عليه السلام ومنزلتهم منه.

الحواريون من خلص المؤمنين بعيسى عليه السلام والمتابعين له بعد أن أحس من قومه الكفر به وبرسالته، حيث توضح ذلك الآية الكريمة التالية: ﴿فَلَمّا أحسَّ مِنهُمُ الكُفرَ قالَ مَن أنصاري الى الله قالَ الحَواريونَ نحنُ أنصارُ الله آمَنّا بالله وَاشهَد بِأنّا مُسلِمون * رَبَّنا آمَنّا بِما أنزَلتَ وَاتَّبَعنا الرَّسولَ فاكتُبنا مَعَ الشّاهِدينَ﴾(٩٠).

وكذلك قوله تعالى في سـورة الصف: ﴿يا أيُّها الذينَ آمَنوا كُونوا أنصارَ الله كَما قال عيسـى بنُ مَريمَ للحَواريـينَ مَنْ أنصاري الى الله قالَ الحَواريـونَ نَحنُ أنصارُ الله فَآمَنت طائِفَةٌ مِنْ بَني اسرائيلَ وَكَفَرَت طائِفَةٌ فَأيَّدنا الذينَ آمَنوا على عَدوِّهِم فَأصبَحوا ظاهِرين﴾[٩١].

وأمـا علـة تسـميتهم بذلـك فمختلـف فيهـا، وان كانت بعـض الروايـات المنقولة عـن أهل بيت العصمـة عليهم السلام تذهـب الى أن العلـة في ذلك أخلاصهـم وخلوصهم من الذنوب والمعـاصي كما في رواية الحسن بن فضال حيث قال: قلت للرضا عليه السلام لِمَ سمي الحواريون الحواريين؟

فقال عليه السلام: أما عند الناس فانهم سـموا حواريين لانهم كانوا قصّارين، يخلِّصون الثياب من الوسـخ بالغسل، وهو اسم مشتق من الخبر الحواراي.

وأمـا عندنـا فسـمِّي الحواريـون حواريين لانـهـم كانوا مخلصين في أنفسـهم ومخلصـين لغيرهم من أوساخ الذنوب بالوعظ والتذكير[٩٢].

وذكر الشيخ الطبرسي رحمه الله جملة العلل في ذلك حيث قال: واختلف في سبب تسميتهم بذلك، على أقوال:

أحدها: أنهم سمُّوا بذلك لنقاء ثيابهم، عن سعيد بن جبير.

وثانيها: أنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب، عن ابن أبي نجيح، عن أبي أرطأة.

وثالثها: أنهم كانوا صيادين يصيدون السمك، عن ابن عبّاس والسدي.

ورابعها: أنهم كانوا خاصة الانبياء، عن قتادة والضحاك، وهذا أوجه، لانهم مدحوا بهذا الاسـم، كأنه ذهب الى نقاء قلوبهم كنقاء الثوب الابيض بالتحوير.

وقال الحسن: الحواري: الناصر، والحواريون: الانصار.

وقال الكلبي: الحواريون: أصفياء عيسى عليه السلام وكانوا اثني عشر رجلاً.

وقال عبدالله بن المبارك: سمُّوا حواريين لانهم كانوا نورانيين، عليهم آثار العبادة ونورها وحسنها، كما قال الله تعالى: ﴿سيماهُم في وجُوهِهِم مِنْ أثَرِ السُّجود﴾[٩٣].

وأضاف رحمه الله في سرده لصفاتهم وعلاقتهم بعيسـى بن مريم عليه السلام، وروي انهم اتبعوا عيسـى عليه السلام وكانـوا اذا جاعـوا قالوا:يا روح الله جعنا، فيضرب بيده على الارض - سـهلاً كان أو جبلاً - فيخرج لـكل انسـان منهم رغيفـين يـأكـلهما، فاذا عـطشـوا قالـوا: يـا روح الله عطشـنا، فـيـضرب بيده على الارض - سهلاً كان أو جبلاً - فيخرج ماء فيشربون[٩٤].

وهكذا فقد كانوا يعدون من خلص المؤمنين بعيسى عليه السلام وأفضل أصحابه ومن تابعه على دعوته.

ومن هنا فقد كان الحافهم في طلبهم الذي أدى الى قيام المعجزة هو الصلة المتينة التي كانت تربطهم

بنبي الله تعالى، وقربهم منه، حيث كرروا طلبهم بان تنزل عليهم مائدة من السماء بدعاء عيسى عليه السلام ربه جلَّ اسمه.

ولنتأمل الآيات القرآنية التي توضح لنا هذه المحاورة بين الحواريين وعيسى عليه السلام والنتائج المترتبة عليها، والتي أدت الى تحقق هذه المعجزة.

قال تعالى: ﴿إذ قالَ الحَوارِيُّونَ يا عيسى بنَ مَريمَ هَلْ يَستَطيعُ رَبُّكَ أنْ يُنَزِّلَ عَلَينا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ قالَ اتَّقُوا اللهَ أنْ كُنتُم مؤمِنينَ * قالُوا نُريدُ أنْ نَأكُلَ مِنها وَتَطمَئِنَّ قُلُوبُنا وَنَعلَمَ أنْ قَدْ صَدَقتَنا وَنَكونَ عَلَيها من الشّاهدينَ * قالَ عيسى بنُ مَريمَ اللّهُمَّ رَبَّنا أنزِلْ عَلَينا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ تَكونُ لَنا عيداً لأوَّلِنا وَآخِرِنا وَآيَةً مِنكَ وَارزُقنا وَأنتَ خيرُ الرّازِقينَ * قالَ اللهُ إنّي مُنزِّلُها عَلَيكُم فَمَن يَكفُر بَعدَ ذلِكَ فَإنّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أحَداً مِنَ العالَمينَ﴾[٩٥].

وفعلاً تحققت هذه المعجزة، ونزلت المائدة من السماء في وسطها بعض أقراص الخبز مع بعض الاسماك – كما في بعض الروايات – وأمام أعين الحواريين أنفسهم.

ولنتأمل في ما رواه الطبرسي في تفسيره عن هذه الواقعة:

قال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَستَطيعُ رَبُّكَ أنْ يُنَزِّلَ عَلَينا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ﴾ قيل فيه أقوال:

أحدها: أن يكون معنا: هل يفعل ربك ذلك بمسألتك إيّاه لتكون علماً على صدقك؟

ولا يجوز أن يكونوا شكّوا في قدرة الله سبحانه على ذلك، لانهم كانوا عارفين مؤمنين، وكأنهم سلوه ذلك ليعرفوا صدقه وصحة أمره من حيث لا يعرض عليهم فيه اشكال ولا شبهة، ومن ثم قالوا: ﴿وَتَطمَئِنَّ قُلُوبُنا﴾ كما قال ابراهيم عليه السلام: ﴿وَلكِن لِيَطمَئِنَّ قَلبي﴾[٩٦] عن أبي علي الفارسي.

وثانيها: أن المراد: هل يقدر ربك، وكان هذا في ابتداء أمرهم قبل أن تستحكم معرفتهم بالله تعالى، ولذلك أنكر عليهم عيسى عليه السلام فقال: ﴿اتَّقُوا اللهَ إنْ كنتُم مؤمِنينَ﴾ لانهم لم يستكمل ايمانهم في ذلك الوقت.

وثالثها: أن يكون معناه: هل يستجيب لك ربك؟ واليه ذهب السدي في قوله: يريد: هل يطيعك ربك ان سألته؟ وهذا على أن يكون استطاع بمعنى أطاع، كما يكون استجاب معنى أجاب.

ثم ذكر رحمه الله جملة من الاخبار المتحدثة عن ماهية المائدة التي نزلت على الحواريين بدعاء عيسى عليه السلام وكيفية نزولها من السماء، وكيف تكرر هذا النزول أربعين صباحاً، وانها تنزل ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء الفيء طارت صعداً وهم ينظرون في ظلها حتى توارت عنهم.

وأن الكثيرين كانوا يأكلون منها بنهم دون أن ينقص منها شيئاً، وأن هذه المائدة ما أكل منها مريض إلاّ بريء، ولا زمن إلاّ صح، ولا فقير إلاّ استغنى بقية عمره ولم يمت إلاّ غنياً.

وقيل انها كانت تنزل عباً، يوماً ويوماً لا، فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام: اجعل مائدتي للفقراء دون الاغنياء، فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكّوا وشكّكوا الناس فيها، فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام: اني شرطت على المكذّبين شرطاً: ان من كفر بعد نزولها ﴿أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أحداً مِنَ العالمينَ﴾ فقال عيسى: ﴿إنْ تُعَذِّبهُم فَانَّهُم عِبادُكَ وإنْ تَغفِر لَهُم فَانَّكَ أنتَ العَزيزُ الحَكيمُ﴾[٩٧].

فمسخ منهم ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين رجلاً، باتوا من ليلهم على فرشهم مع نسائهم في ديارهم فأصبحوا خنازير، يسعون في الطرقات والكناسات، ويأكلون العذرة في الحشوش[٩٨] فلما رأي الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا وبكى على الممسوخين أهلوهم، فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا.

وفي تفسير أهل البيت عليهم السلام: كانت المائدة تنزل عليهم فيجتمعون عليها ويأكلون منها ثم ترتفع، فقال كبراؤهم ومترفوهم: لا ندع سفلتنا يأكلون منها معنا، فرفع الله تعالى المائدة ببغيهم، ومُسِخوا قردة وخنازير[٩٩].

٣ – مواقف متفرقة:

ثم أن القرآن الكريم حدّثنا عن كثير من المواقف الاعجازية الاخرى للانبياء عليهم السلام لا يسعنا الاسترسال في التعرُّض لبعض جوانبها هنا تجنباً للاطالة والاسهاب، نذكر بعضها استعراضاً:

منها: ما يختص بموسى عليه السلام كالطوفان، والجراد، والقمّل، والضفادع، والدم، وانفلاق البحر، وغيرها.

ومنها: ما يختص بعيسى عليه السلام كعمل الطيور من الطين ثم النفخ فيها فتصبح طيراً يحلّق في الفضاء، أو ابراء الأكمه والأبرص، واحياء الموتى أيضاً، وغير ذلك.

ومنها: ما يختص بصالح عليه السلام والناقة التي جاء بها قومه.

وغير ذلك من البراهين الاعجازية التي قدمها الانبياء عليهم السلام دليلاً على نبوتهم، واثباتاً لها.

رسل عيسى عليه السلام الى انطاكية

مدينة انطاكية من المدن التأريخية المعروفة، والتي كانت تعد من مدن الروم المشهورة[١٠٠] التي تتوجه اليها الانظار، ويقصدها الوافدون لشتى الاغراض وتنوعها.

وكانت آنذاك تخضع لاحد الطواغيت الظلمة الذي كان يسوم الناس أنواع الظلم والتنكيل والقهر، وكان يقهر النسا على عبادة الاصنام التي أفرد لها بيتاً كان يدعوه ببيت الآلهة.

ولما ظهر أمر عيسى عليه السلام أمره الله تعالى الى يُرسل الى أهل تلك القرية رسولين[١٠١] لهدايتهم الى طريق الحق، ونبذ عبادة الاصنام.

ويبدوا على ما تنقله بعض الروايات أن هذين الرسولين لم يتوخيا الحذر في بث دعوتهما التي أوصاهما بها عيسى عليه السلام ولم يتمكنا من النفوذ بين صفوف الناس، وسرَّب خبرهما الى الملك الذي وصى بأن يوثقا بالحديد ويسجنا في بيت الاصنام مع التضييق عليهما والتشديد في مراقبتهما.

وفي رواية عن اسماعيل بن جابر عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: ان عيسى عليه السلام لما أراد وداع أصحابه جمعهم وأمرهم بضعفاء الخلق، ونهاهم عن الجبابرة، فوجه اثنين الى انطاكية، فدخلا في يوم عيد لهم، فوجداهم قد كشفوا عن الاصنام وهم يعبدونها، فعجلا عليهما بالتعنيف، فشدا بالحديد وطرحا في السجن.

وهكذا فقد اودع هذا الرسولان في السجن، وتعطلت مهمتهما التي بعثنا من أجلها، ولم يجد نبي الله عيسى عليه السلام بداً من أن يُرسل الى تلك المدينة برجل ثالث يكون أهلاً لتحمُّل المسؤولية الحساسة والدقيقة المناطة به.

وكان هذا الرجل هو وصيه الخاص شمعون الصفا الذي أدى مهمته خير أداء، واستطاع التغلغل بين صفوف الناس، ناشراً دعوته، وداعياً الى عبادة الواحد القهّار، ولشهرين متتاليين[١٠٢].

بيد أن الامر لم يلبث أن سرى الى الملك الذي أمر باحضاره بين يديه للنظر في دعواه التي جاء بها.

وما أن وقف شمعون بين يدي ذلك الملك وخاطبه حتى وقعت محبته في قلب الملك، وأعجب به أيما اعجاب، وجعله من المقرَّبين منه واصحابه[١٠٣].

وعموماً فان الاختلاف في نقل الروايات المتعرضة للفترة التي سبقت لقاء سمعون بالملك لا يخص بحثنا هنا، قد ما ابتغينا منه التلميح الى الظروف الممهدة لهذا اللقاء، والمحاولات التي ترتبت عليه.

ومن هنا، فان الروايات التي تذكر بان شمعون التقى بالملك بعد اعتكافه في ما يسمى ببيت الالهة، ولقائه بالرسولين السابقين المسجونين هناك، فانه خاطب الملك بعد أن قرَّبه وأدناه بان هناك في بيت الالهة رجلين في هيئة أثارت استغرابه، وانه يسأل عن حقيقتهما والسر في ما يراه من حالهما.

فأخبره الملك بانهما جاءا يبشران بدين يدعوا الى عبادة اله سماوي، وكانا يعملان على ابطال ديني وعقائدي.

فخاطبه شمعون قائلاً: لِمَ لا تدعوهما ايها الملك الى المناظرة، فان كان الحق لهما اتبعناهما، وان كان الحق لنا دخلا معنا في ديننا، وكان لهما ما لنا، وعيهما ما علينا.

تقول الرواية المنقولة عن الامام الباقر عليه السلام: فبعث الملك اليهما، فلما دخلا اليه قال لهما صاحبهما[١٠٤]: ما الذي جئتماني به؟

قالا: جئنا ندعوه الى عبادة الله الذي خلق السماوات والارض، ويخلق في الارحام ما يشاء، ويصوِّر

كيف يشاء، وأنبت الاشجار والثمار، وانزل القطر من السماء.

قال: فقال لهما: الهكما هذا الذي تدعوان اليه والى عبادته ان جئنا بأعمى أيقدر أن يرده صحيحاً؟

قالا: ان سألناه أن يفعل فعل ان شاء.

قال: أيها الملك، عليَّ بأعمى لم يبصر شيئاً قط.

قال: فأُتي به فقال لهما: ادعوا الهكما أن يرد بصر هذا.

فقاما وصليا ركعتين، فاذا عيناه مفتوحتان وهو ينظر الى السماء.

فقال: أيها الملك، عليَّ بأعمى آخر.

فأُتي به، قال: فسجد سجدة ثم رفع رأسه فاذا الاعمى يبصر.

فقال: أيها الملك، حجة بحجة، عليَّ بمقعد.

فأُتي به فقال لهما مثل ذلك، فصليا ودعوا الله تعالى، فاذا المقعد قد أُطلقت رجلاه وقام يمشي.

فقال: أيها الملك، عليَّ بمقعد آخر.

فأُتي به، فصنع به كما صنع أول مرة، فانطلق المقعد.

فقال: أيها الملك، قد أتيا بحجتين وأتينا بمثلهما، ولكن بقي شيء واحد، فان كان هما فعلاه دخلت معهما في دينهما.

ثم قال: أيها الملك، بلغني انه كان للملك ابن واحد ومات فان أحياه الههما دخلت معهما في دينهما.

فقال له الملك: وأنا أيضاً معك.

ثم قال لهما: قد بقيت هذه الخصلة الواحدة، قد مات ابن للملك، فادعوا الهكما أن يحييه.

قال: فخرا ساجدين لله عز وجل وأطالا السجود ثم رفعا رأسيهما وقالا للملك: ابعث الى قبر ابنك تجده قد قام من قبره ان شاء الله تعالى.

فخرج الناس ينظرون فوجدوه قد خرج من قبره ينفض رأسه من التراب.

قال: فأُتي به الملك فعرف انه ابنه، فقال: ما حالك يا بني؟

قال: كنت ميتاً فرأيت رجلين بين يدي الساعة ساجدين يسألانه أن يحييني، فأحياني.

قال: يا بني تعرفهما اذا رأيتهما؟

قال: نعم.

قال: فأخرج الناس جملة الى الصحراء، فكان يمر عليه رجل رجل، فيقول له أبوه: انظر، فيقولك:

لا.

ثم مروا عليه بأحدهما بعد جمع كثير فقال: هذا أحدهما، وأشار بيده اليه.

ثم مروا أيضاً بقوم كثيرين حتى رأى صاحبه الآخر فقال: وهذا الآخر.

قال: فقال النبي عليه السلام صاحب الرجلين[١٠٥]: أما أنا فقد آمنت بالهكما، وعلمت ان ما جئتما به هو الحق.

قال: فقال الملك: وأنا أيضاً آمنت بالهكما. وآمن أهل مملكته كلهم[١٠٦].

وأخيراً فانّا نقول: ان الاتيان بالمعجز من الحقائق الثابتة في حياة الانبياء والمرسَلين عليهم السلام ومن الأُمور المتسالم على وقوعها من قبلهم لاكثر من مرة كما صرَّح بوقوعها القرآن الكريم، والاخبار الثابتة المنقولة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام والموافقة للعقل والمنطق، ولا نجد في ذلك خلافاً يعتد به إلاّ تخرُّصاً وتخريفاً.

فلسفة التنوع في المعجزات

قد يتساءل البعض عن علة تخصص بعض الأنبياء عليهم السلام بنوع معين من المعجزات حين يتخصص البعض الآخر منهم بنوع آخر منها؟

والواضح الجلي أن جملة المعجزات التي أتى بها اولئك الانبياء عليهم السلام كانت تتناسب والخط العام الذي كان سائداً في عصر ذلك النبي والممثل لنزعات الناس في تلك الفترة.

فلا يخفى على أحد أن كل عصر من عصور البشرية الماضية قد امتازت ببعض المظاهر العلمية والفنية والاجتماعية الخاصة بها، وحيث تبدو علاقة تلك الشعوب بهذه النزعات أو هذه التوجهات قوية ومتلازمة، وشديدة التأثر بها.

ومن هنا فان المعجزات التي جاء بها الانبياء عليهم السلام كانت متناسبة ومتقارنة مع هذه التوجهات التي ذكرناها.

فلما كان عصر موسى مشهوراً بالسحر، والتفنن في طرقه، وتعلق الناس ببعض أساليبه التي كانت تخدع الناظرين اليها، والتي كان أوسعها انتشاراً اللعب بالحبال وخداع أبصار الناظرين بأنها حيات تسعى، كان أن أيد الله تعالى موسى عليه السلام بعصاه التي كانت تنقلب أفعى فتبطل عمل الساحرين وخداعهم، وغير ذلك من الآيات الاخرى التي ذُكرت في القرآن الكريم.

وفي عصر عيسى بن مريم عليه السلام كان الطب قد بلغ أوجه، وبرز الكثير من الاطباء البارعين المتفنِّنين في علومهم، فكانت معجزة عيسى باحياء الموتى تذهل اولئك وتحيرهم.

وأما في عصر نبينا الاكرم محمد بن عبدالله ﷺ فقد كان للفصاحة والبلاغة العربية المكانة الكبرى في نفوس العرب وقلوبهم، وحيث برعوا في البيان والبلاغة بشكل قل نظيره، فتحداهم رسول الله ﷺ بمعجزته الخالدة القرآن الكريم الذي أدهشهم ببلاغته الفريدة، واسلوبه الفذ، ونظمه الرائع، ثم تحداهم أن يأتوا بمثله[١٠٧] بل ولو بعشر سور من مثله[١٠٨]، ثم لما بان عجزهم تحداهم بان يأتوا ولو بسورة واحدة فقط كسوره[١٠٩] ... ولكن لا مجيب ولا راد، وهذا هو السر في اعجاز القرآن الكريم.

ثالثاً: عصمة الأنبياء عليهم السلام

مدخل

من الصفات الخاصة بالانبياء عليهم السلام العصمة، ويراد بها اصطلاحاً: القوة التي تمنع الانسان عن اقتراف المعصية والوقوع في الخطأ.

وهذا التفسير يقود المتأمل الى أن حقيقة هذه العصمة تنقسم الى قسمين اثنين:

١ - العصمة من ارتكاب الذنب.

٢ - العصمة من الوقوع في الخطأ

إلاّ ان تناولها من خلال ما يختص بالانبياء عليهم السلام والدور المناط بهم، والمسؤولية المتعلقة بدعوتهم يقودنا الى وجود قسم ثالث فيها هو: العصمة في تلقي الوحي وتبليغه والعمل به.

ومن هنا فان قول الامام الصادق عليه السلام عند تعريفه للمعصوم بانه المتنع بالله تعالى من جميع المحارم[١١٠].

يتعرض الى مفهوم العصمة المتعلقة بالانسان الساعي نحو ادراك هذه المرتبة العالية، والصفة الكاملة.

قال الراغب الاصفهاني في مفرداته: العصم الامساك، والاعتصام الاستمساك[١١١].

فهي بحد ذاتها لطف يفيضه الله تبارك وتعالى على الانسان، وبالشكل الذي لا يجد معه داع أو مبرر لارتكاب المعصية - مع افتراض قدرته على ذلك - ولا الى ترك الطاعة.

فاذا قلنا الانبياء عليهم السلام معصومون في جميع حالاتهم المختلفة، ولا يمكن في أي حال من الاحوال تبعيض هذه الحالة وهذه الخاصية الحساسة والدقيقة في شخصيتهم عليهم السلام فان بعض الاختلافات الفرعية تقع بين مجمل عقائد فرق المسلمين، وان ذهب الجميع الى اشتراط وجود أصل العصمة في النبي والرسول كما هو معروف، وهذا ما سنستقريء بعض جوانبه في صفحات كتابنا اللاحقة باذن الله تعالى.

العصمة في رأي المدارس الاسلامية

لما ذهبنا في أول حديثنا عن العصمة الى أنها حقيقة ثابتة قالت بها المدارس الاسلامية عموماً، ولكن حصل الاختلاف في جملة المفاهيم المرتبطة بالعصمة، والحدود التي تتأطر من خلالها، ومرجع هذا اختلاف المدارس الكلامية الاسلامية في كيفية الفهم الحقيقي للمناط الذي تستوجبه العصمة ضمن الحدود التي يتحرك ضمنها المعصوم، وبالتالي في كيفية الاستدلال عليها باعتماد القواعد الخاصة بها بعيداً عن المفاهيم الجاهزة، والقواعد المستورثة.

وعموماً فان الاختلاف الواقع بين الفرق الاسلامية ضمن هذا الموضوع يمكن أن تقسمه – كما يذكر العلاّمة المجلسي رحمه الله – الى أربعة أقسام، تشكل بمجموعها الأسس الحقيقية لهذا الاختلاف، وهي:

١ – ما يقع في باب العقائد.

٢ – ما يقع في التبليغ.

٣ – ما يقع في الاحكام والفتيا.

٤ – في أفعالهم عليهم السلام وسيرهم.

وأما الكفر والضلال في الاعتقاد فقد أجمعت الأُمَّة على عصمتهم عنها قبل النبوة وبعدها، غير ان الازارقة[١١٢] من الخوارج جوَّزوا عليهم، بل يحكى عنهم قالوا: يجوز أن يبعث الله تعالى نبياً علم انه يكفر بعد نبوته!!

وأما النوع الثاني – وهو ما يتعلق بالتبليغ – فقد أتفقت الأُمَّة – بل جميع أرباب الملل والنحل والشرائع – على وجوب عصمتهم عن الكذب والتحريف في ما يتعلق بالتبليغ عمداً وسهواً، إلاّ القاضي أبو بكر[١١٣] فانه جوَّز ما كان من ذلك على سبيل النسيان وفلتات اللسان.

وأما النوع الثالث – وهو ما يتعلق بالفتيا – فأجمعوا على انه لا يجوز خطؤهم فيه، عمداً وسهواً، إلاّ شرذمة قليلة من العامة.

أما النوع الرابع – وهو الذي تقع فيه أفعالهم، فقد أختلفوا فيه على خمسة مسائل:

الاولى: مذهب الامامية، وهو انه لا يصدر عنهم الذنب، لا صغيره ولا كبيره، ولا نسياناً، ولا خطأ في التأويل، ولا للاسهاء من الله سبحانه، ولم يخالف فيه إلاّ الصدوق[١١٤] وشيخه محمد بن الحسن بن الوليد قدس سرهما فانهما جوزا السهو الذي يكون من الشيطان، وكذا القول في الائمة المعصومين عليهم السلام.

الثانية: انه لا تجوز عليهم الكبائر، وتجوز عليه الصغائر، إلاّ الصغائر الخسيسة المنفِّرة، كسرقة حبة أو لقمة، وكل ما ينسب فاعله الى الدناءة والضعة، وهذا قول أكثر المعتزلة.

الثالثة: انه لا يجوز أن يأتوا بصغيرة ولا كبيرة على جهة العمد، لكن يجوز على جهة لتأويل أو السهو، وهو قول أبي علي الجبائي.

الرابعة: انه لا يقع منهم الذنب إلاّ على جهة السهو والخطأ، لكنهم مأخوذون بما يقع منهم سهواً، وان كان موضوعاً عن أُممهم لقوة معرفتهم وعلو رتبتهم، وكثرة دلائلهم، وانهم يقدرون من التحفُّظ على ما لا يقدر عليه غيرهم، وهو قول النظّام وجعفر بن مبشر ومن تبعهما.

الخامسة: انه يجوز عليهم الكبائر والصغائر، عمداً وسهواً وخطأ، وهو قول الحشوية وكثير من أصحاب الحديث من العامة.

ثم اختلفوا في وقت العصمة على ثلاثة أقوال:

الاول: انه من وقت ولادتهم الى أن يلقوا الله سبحانه، وهو مذهب الامامية.

الثاني: انه من حين بلوغهم، ولا يجوز عليه الكفر والكبيرة قبل النبوة، وهو مذهب كثير من المعتزلة.

الثالث: انه وقت النبوة، واما قبله فيجوز صدور المعصية عنهم، وهو قول أكثر الاشاعرة، ومنهم الفخر الرازي، وبه قال أبو هذيل، وأبو علي الجبّائي من المعتزلة[١١٥].

العصمة في الميزان

ذكرنا آنفاً بان العصمة حصانة نفسية وروحية تمنع صاحبها من ارتكاب المعاصي والذنوب - على تفاوت ذلك - مع قدرتهم عليها، فان ذلك المبحث الخاص بالسيرة الذاتية للانبياء عليهم السلام من المباحث الحساسة والدقيقة في أصل العقيدة الاسلامية المباركة، وعلى كيفية فهمه والاعتقاد به تترتب جملة واسعة من المرتكزات والمفاهيم العقائدية الخاصة بالكثير من الجوانب المرتبطة بحياة الانبياء عليهم السلام وسيرتهم.

وهذا التصور الدقيق والمتثبت هو المقياس الذي آمنت به الشيعة الامامية، وعليه ابتنت جملة الجوانب الاخرى المرتبطة به، والمتعلقة بحيثياته.

ولا يعني هذا الجزم هو القاء القول على عواهنه قطعاً، بل هو مبتن على جملة متينة من القواعد العقلية والنقلية التي تعضده، وتؤكد لزوم وجوبه، وبشكل لا يدع مجالاً للاخذ والرد كما قد يتوهم البعض.

ومن هنا فانّنا سنحاول استعراض البعض من تلك الادلة، بتفرعاتها المختلفة، ومناقشتها ضمن الضوابط العقائدية والفكرية التي يتفق عليه المسلمون، ويذهبن الى القول بها على اختلاف نحلهم ومذاهبهم، والله الموفق للصواب.

الأدلة العقلية على وجوب عصمة الأنبياء عليهم السلام

لوجوب القول بعصمة الانبياء عليهم السلام الكثير من الادلة العقلية التي يستدل بها أصحابنا لاثبات عقيدتهم الثابتة فيها، والتي يمكننا هنا أجمال بعضها بما يلي:

١ - لما اتفقت جميع فرق المسلمين على أن الله تبارك وتعالى عالم وحكيم، ولا يصدر منه إلاّ ما هو مطابق لهذه الحكمة، فان من المخالف قطعاً لهذا المبنى وهذا الاعتقاد القول بامكان أي يرسل الله تعالى من الناس رسولاً مأموراً بهدايتهم وهو مدنَّس بالآثام، وملطخ بالاوزار، وقد انحرف عن جادة الصواب، وسلك سبل الانحراف والغواية.

٢ - ارتكاب الذنب والمعصية لا بد وان يرتكز على قاعدتين اساسيتين اثنين، هما:

أ - الجهل بتبعة الذنب، والنتائج المترتبة عليه.

ب - الاختلال النفسي، وعدم القدرة على التحكم بالاهواء المضطربة.

ولا يسع أحد أن يقول بان الانبياء عليهم السلام يدخلون تحت هاتين العنوانين قطعاً، لان الرفعة الروحية التي يمتازون بها، والسمو الروحي الكبير الذي يتصفون به، والاتصال الغيبي بالسماء، كل ذلك وغيره يعد من العوامل القاطعة بانتفاء وقوع هذا الاحتمال المردود[١١٦].

ولعل هذا القول بجانبيه كما لو افترضنا وجود ماء ملوث وغير صحي قد اختلط بماء الفضلات في متناول جماعة من الناس، فان احتمال اقدام البعض من الجهلة على الشرب منه أمر وارد وغير مرفوض الوقوع قطعاً، رغم حرمته الشرعية، واتفاق العقلاء على استهجانه ورفضه.

بيد ان اقدام أحد الاطباء المتخصصين على ذلك العمل الفاسد يعد من الامور المستحيلة وغير المعهودة، ولا يسع أحد القول به، إلاّ عند القول بتجاوز حدود العقل البشري وابسط آفاقه.

وهكذا هو القول بارتكاب المعصية من قبل الانبياء عليهم السلام بما لهم من المعرفة بالله تعالى من جانب، وبالطاعة والمعصية وما يتصل وما يترتب عليهما كما هو معروف وثابت[١١٧].

ثم أليست هذه المعرفة هي من الحصون الكبرى التي يتحصَّن بها المؤمنون من الوقوع بارتكاب المعصية التي تقود الى غضب الله تعالى وعقابه، وتحرمهم من رضاه وثوابه، فكيف يفترض احتمال وقوعهم فيها.

ألا تتأمل كيف وصف أمير المؤمنين علي عليه السلام عباد الله المتقين بقوله: فهم والجنة كمن رآها فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها فيهم فيها معذبون[١١٨].

٣ – وقوع المعصية من قبل أي فرد يزعزع الثقة المولاة له من قبل الآخرين، ويقلل بالتالي من قيمه الروحية التي ينبغي أن يتسم بها، وهذا الفرض مخالف قطعاً للمناط المتعلق بهم عليهم السلام كما يعلم الجميع.

٤ – العقائد السماوية تجعل من أفعال الانبياء عليهم السلام منهجاً وسنَّة يجب أن تتبع وتقتفى، فكيف للأُمَّة عند وقوع المعصية من قبل هذا النبي في جانب أو جوانب معينة من سيرته، فهل تتبع تلك المعصية، أم تعرض عنها؟

ان القول بالاول محض باطل لانه دعوة من قبل السماء لاتباع المعاصي اقترافها، وهو خلاف ما جاءت به جميع الشرائع السماوية على طول التأريخ.

وأما القول الثاني فانه لا خلاف ما تأمر به تلك الشرائع من اتباع الانبياء، والاهتداء بهديهم، واقتفاء آثارهم لانهم يهدون للتي هي أحسن.

ثم أليس الانبياء هم المثل الاعلى في الارض لجميع البشر، وعلى طوال التأريخ، فكيف يمكن للسماء أن تنصِّب علماً وقدوة سيئة وتأمر باتباعها رغم خلافها مع ما تأمر به، وتدعوا اليه؟

٥ – ولا يتوقف القول بالعصمة عند الرسالة ووقتها، بل ينبغي أن يكون لذلك النبي أو الرسول تأريخاً مشرقاً مشرفاً يتوافق مع ما يدعو اليه ذلك النبي، وإلاّ لتعرَّض للمناقشة والرد والازدراء من قبل معارضيه ومخالفيه، ولباءت دعوته بالفشل والخسران بلا أدنى شك.

قال المحقق الطوسي رحمه الله: ويجب في النبي العصمة ليحصل الوثوق فيحصل الغرض، ولوجوب متابعته، وضدها والانكار عليه.

وقال العلاّمة الحلي رحمه الله قالت الامامية: انه يجب عصمتهم عن الذنوب كلها، صغيرة كانت أو كبيرة، والدليل عليه بوجوه:

أحدها: ان الغرض من بعثة الانبياء عليهم السلام انما تحصل العصمة، فتجب العصمة تحصيلاً للغرض.

وبيان ذلك: أن المبعوث اليهم لو جوزوا الكذب على الانبياء والمعصية جوزوا في أمرهم ونهيهم وأفعالهم التي أمروهم باتباعها فيها ذلك، وحينئذ لا ينقادون الى امتثال أوامرهم، وذلك نقض للغرض من البعثة.

الثاني: ان النبي عليه السلام يجب متابعته، فاذا فعل المعصية فأما أن يجب متابعته أو لا.

والثاني باطل لانتفاء فائدة البعثة، والاول باطل لان المعصية لا يجوز فعلها.

وأشار بقوله (لوجوب متابعته وضدها) الى هذا الدليل، لان بالنظر الى كونه نبياً يجب متابعته،

وبالنظر الى كون الفعل معصية لا يجوز اتباعه.

الثالث: انه اذا فعل معصية وجب الانكار عليه لعموم وجوب النهي عن المنكر، وذلك يستلزم ايذائه، وهو منهي عنه، وكل ذلك محال[١١٩].

وقال الشيخ المظفر: والدليل على وجوب العصمة: انه لو جاز أن يفعل النبيﷺ المعصية، أو يخطأ وينسى، وصدر منه شيء من هذا القبيل، فأما ان يجب اتباعه في فعله الصادر منه عصياناً أو خطأ، أو لا يجب.

فان وجب اتباعه فقد جوزنا فعل المعاصي برخصة من الله تعالى بل أوجبنا ذلك، وهذا باطل بضرورة الدين والعقل.

وان لم يجب اتباعه فذلك ينافي النبوة التي لا بد أن تقترن بوجوب الطاعة أبداً.

على أن كل شيء يقع منه من فعل أو قول فنحن نحتمل فيه المعصية أو الخطأ، فلا يجب اتباعه في شيء من الاشياء، فتذهب فائدة البعثة، بل يصبح النبي كسائر الناس، ليس لكلامهم ولا لعلمهم تلك القيمة العالية التي يعتمد عليها دائماً.

كما لا تبقى طاعة حتمية لأوامره، ولا ثقة مطلقة بأقواله وأفعاله[١٢٠].

وقال المحقق السيوري: لو لم يكن الانبياءﷺ معصومين من الذنوب لانتفت فائدة البعثة، واللازم باطل، فالملزوم مثله.

بيان الملازمة: انه لو جازت المعصية عليهم لم يحصل الوثوق بصحة قولهم لجواز الكذب حينئذ عليهم، واذا لم يحصل الوثوق لم يحصل الانقياد لامرهم ونهيهم، فتنتفي فائدة بعثتهم، وهو محال.

الثاني: لو صدر عنهم الذنب لوجب اتباعهم لدلالة النقل على وجوب اتباعهم، لكن الامر حينئذ باتباعهم محال لانه قبيح، فيكون صدور الذنب عنهم محال، وهو المطلوب[١٢١].

كما ان الاختلاف الواقع في مدى العصمة وحدودها قد تقدَّمت منّا الاشارة اليها آنفاً، وذكرنا الجوانب المترتِّبة على القول بتحديدها أو تبعيضها، وأثبتنا فساد ذلك عقلاً، ثم رددنا القول الذاهب الى تجويز وقوع الصغائر من الانبياءﷺ لان تجويز ذلك يلزمه تجويز أكثر الذنوب، وحتى عظائمها، كما هو واضح ومعلوم.

ومن هنا فانّا نقول بوجوب العصمة للانبياءﷺ مطلقاً، قبل الوحي وبعده وحتى آخر العمر.

قال العلاّمة الحلي رحمه الله: انه معصوم من أول عمره الى آخره لعدم انقياد القلوب الى طاعة من عهد منه في سالف عمره أنواع المعاصي والكبائر، وما تنفر النفس عنه.

ثم ان ما ورد في الكتاب العزيز مما يتوهم صدور الذنب عنهمﷺ فمحمول - باتفاق أصحابنا

– على باب ترك الاولى، لما ثبت صحته من الادلة العقلية والنقلية المعتبرة لدى المسلمين، أو ما يمكن حمله من وجوه صحيحة أُخرى تنفي وقوع المعصية منهمعليهم السلام.

قال السيد المرتضى رحمه الله في كتابه الموسوم بتنزيه الانبياء: اعلم أن جميع ما ننزه الانبياءعليهم السلام عنه، ونمنع من وقوعه منهم يستند الى دلالة العلم المعجز، اما بنفسه أو بواسطة.

وتفسيره هذه الجملة: أن العلم المعجز اذا كان واقعاً موقع التصديق لمدعي النبوة والرسالة، وجارياً مجرى قوله تعالى له: صدقت في أنك رسولي ومؤد عني، فلا بد من أن يكون هذا المعجز مانعاً من كذبه على الله تعالى في ما يؤديه، لانه تعالى لا يجوز أن يصدِّق الكذّاب، لان تصديق الكذّاب قبيح، كما أن الكذب قبيح.

فاما الكذب في غير ما يؤديه وسائر الكبائر فانما دلَّ المعجز على نفيها من حيث كان دالاً على وجوب اتباع الرسول وتصديقه في ما يؤديه، وقبوله منه، لان الغرض في بعثة الانبياءعليهم السلام وتصديقهم بالاعلام المعجزة هو أن يمتثل بما يأتون به، فما قدح في الامتثال والقبول واثَّر فيهما يجب أن يمنع منه، فلهذا قلنا: انه يدل على نفي الكذب والكبائر عنه في غير ما يؤدونه بواسطة، وفي الاول يدل بنفسه(١٢٢).

الادلة النقلية على عصمة الانبياءعليهم السلام

كثيرة هي الادلة النقلية التي تثبت مسألة وجبو عصمة الانبياءعليهم السلام المطلقة، وسنحاول هنا استعراض البعض من تلك الادلة، ولنشرع أولاً بالآيات القرآنية المباركة.

١ – قال الله تبارك وتعالى في سورة البقرة: ﴿وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾(١٢٣).

رغم ان هذه الآية الكريمة من الاستدلالات الكبرى على وجوب عصمة الائمةعليهم السلام لان ابراهيمعليه السلام كان نبياً قبل أن ينصَّب إماماً للناس من قبل الله تبارك وتعالى، إلاّ ان يمكن الاستدلال بها أيضاً على عصمة الانبياءعليهم السلام أيضاً كما ذهب الى ذل العلاّمة البرسوي رحمه الله في تفسيره روح البيان، حيث قال: وفي الآية دليل على عصمة الانبياءعليهم السلام من الكبائر قبل البعثة وبعدها(١٢٤).

فاذا ذهبت هذه الآية الكريمة الى أن منصب الامامة لا ينال مع ارتكاب الظلم، ومنه المعصية بكافة أشكالها ومصاديقها، فان النبوة من باب أولى أن تكون كذلك، كما هو واضح ومعلوم.

٢ – وقال جل اسمه في سورة الاحزاب: ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾(١٢٥).

ان التوصية الالهية باعتبار رسول اللهصلى الله عليه وآله هو النموذج الامثل الذي يجب أن يتخذه المومنون قدوة

لهم في سبيل كسب الرضا الالهي المفضي الى السعادة الاخروية والنعيم الدائم الذي لا يزول.

فلا مناص من القول بان الذهاب الى تجويز وقوع المعصية من قبل النبي عليه السلام تخريف ومعالطة واضحة للمنطق والحق، فكيف يأمر الله تعالى البشر جميعهم باتباع أنبيائهم مع احتمال وقوع هؤلاء بالمعصية وارتكابهم الظلم؟!

ان ذلك باطل من جميع الوجوه ولا وجه فيه للنقاش والبحث.

٣ - وقال عز من قائل في سورة النجم: ﴿وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى﴾[١٢٦].

ودلالة هاتين الآيتين الكريمتين على عصمة الانبياء أجلى من أن تحتاج الى شرح وتفصيل، وتعضيد وبرهان.

٤ - وفي سورة الحشر قال سبحانه وتعالى: ﴿وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[١٢٧].

بل وغير ذلك من الآيات المباركة الكريمة التي تنطوي على دلالات واضحة وبيّنة على عصمة الانبياء عليهم السلام يمكن للمراجع والمتأمل استقراؤها والتثبت منها، وهذا هو الحق الذي لا مناص من الاقرار به، والتسليم بحقيقته الناصعة والثابتة.

وقفة مع الروايات

التأمل في جملة الروايات المتحدِّثة عن عصمة الانبياء عليهم السلام يفضي بلا شك الى التسليم بهذه الحقيقة التي لا يستدعي اثباتها مزيد بحث وتفصيل لانه من البديهيات المسلَّم بها عقلاً، إلاّ انّا نورد بعضها هنا اتماماً للفائدة، واعضاداً للدليل العقلي.

فقد روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام انه قال: ان الله تعالى أمر بطاعة رسوله لانه معصوم مطهَّر[١٢٨].

وروي أن المأمون لما جمع لعلي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من اهل الاسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر أهل المقالات، فلم يقم أحد إلاّ وقد أُلزم حجته كأنه قد أُلقم حجراً، فقام اليه علي بن الجهم فقال له: يا ابن رسول الله أتقول بعصمة الانبياء؟

قال عليه السلام: بلى.

قال: فما تعمل في قول الله عز وجل: ﴿وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى﴾[١٢٩].

وقوله عز وجل: ﴿وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[١٣٠]

وقوله في يوسف: ﴿وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها﴾[١٣١].

وقوله عز وجل في داود: ﴿وَ ظَنَّ داوُدُ أَنَّما فَتَنَّاهُ﴾[١٣٢] وقوله في نبيه محمدﷺ: ﴿وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ﴾[١٣٣]؟

فقال الامام الرضاعليه السلام: ويحك يا علي اتق الله ولا تنسب الى أنبياء الله الفواحش، ولا تتأول كتاب الله برأيك، فان الله عز وجل يقول: ﴿وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[١٣٤].

ثم استرسل الامامعليه السلام في توضيح الوجوه الصحيحة في تأويل هذه الآيات المباركة كما هي على حقيقتها، والتي تنفي وقوع المعصية الذنب من الانبياءعليهم السلام وبشكل مفصَّل وواضح لم يترك لاحد حجة في الرد والتأويل والمناقشة، فلم يملك علي بن الجهم حينها من البكاء والقول للامام الرضاعليه السلام: يا ابن رسول الله، أنا تائب الى الله عز وجل من أن أنطق في أنبياء اللهعليهم السلام بعد يومي هذا إلاّ بما ذكرته[١٣٥].

وروى الاعمش عن الامام جعفر الصادقعليه السلام ما نصه: هذه شرائع الدين لمن تمسك بها، وأراد الله تعالى هداه: ... وليس له عز وجل أن يظلم، ولا يفرض الله عز وجل على عباده طاعة من يعلم أنه يغويهم ويضلهم، ولا يختار لرسالته، ولا يصطفي من عباده من يعلم انه يكفر به، ويعبد الشيطان دونه[١٣٦].

وروي مثل هذا الخبر عن الامام الرضاعليه السلام في ما كتبه للمأمون: من دين الامامية لا يفرض ... الى آخره[١٣٧].

وقال الامام الصادقعليه السلام: ان الله عز وجل اختار من ولد آدمعليه السلام أناساً طهَّر ميلادهم، وطيَّب أبدانهم، وحفظهم في أصلاب الرجال وأرحام النساء، أخرج منهم الانبياء والرسل، فهم أزكى فروع آدم، فعل ذلك لا لأمر استحقوه من الله عز وجل، ولكن علم الله تعالى منهم حين ذرأهم أنهم يطيعونه ويعبدونه ولا يشركون به شيئاً.

فهؤلاء بالطاعة نالوا من الله عز وجل الكرامة والمنزلة الرفيعة عنده، وهؤلاء الذين لهم الشرف والفضل والحسب، وسائر الناس سواء، ألا من اتقى الله أكرمه، ومن أطاعه أحبه، ومن أحبه لم يعذِّبه بالنار[١٣٨].

وروى أبو بصير عن أبي عبدالله الصادق جعفر بن محمدعليه السلام انه سأله رجل فقال: لأي شيء بعث الله تعالى الانبياء والرسل الى الناس؟

فقالعليه السلام: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[١٣٩].

ولئلا يقولوا: ﴿ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَ لا نَذِيرٍ﴾[١٤٠] ولتكون حجة الله تعالى عليهم، الا تسمع الله عز وجل يقول حكاية عن خزنة جهنم احتجاجهم على أهل النار بالانبياء والرسل: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قالُوا بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنا وَ قُلْنا ما نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾[١٤١].

فـلا يمكـن بأي حال من الاحوال افـتراض ان الله تبارك وتعالى يجعل من أُنـاس وقعوا في المعصية والذنب حجة على غيرهم ممن قد يكونوا أقل منهم ذنباً ومعصية.

فـلا بـد من أن يكون هؤلاء القوم لم يقارفوا السـيئات، ولم يرتكبوا الذنـوب، لانهم حجة الله تعالى على المذنبين والعاصين.

رابعاً: الفضلية

مـن الصفات اللازمـة والواجبة في ذات الانبياءعليهم السلام احتوائهم على أعـلى مراتب الناس علماً وكمالاً وتقوى وغير ذلك من الصفات الايجابية الكبرى التي تشطِّل القيمة في التركيب البشري المتسامي نحو عالم الكمال الرفيع.

وهـذه الخاصيـة تعـد من الشروط التـي لا يمكن بأي حال مـن الاحوال افتراض عـدم وجودها، لان الدور الرسـالي الكبير الذي يضطلع به الانبياء والمرسـلينعليهم السلام من الادوار الخطيرة والحساسة التي تتطلب تميُّزاً وتفوقاً مطلقاً على عموم البشر يتناسب مع الدور القيادي لهم، مضافاً الى أن الذات الالهية الطاهرة والمقدسة لا بد أن تبعث أفضل العباد ممثلاً عنها وعن ارادتها ومشيئتها المباركة.

ومـن هنـا فانـه يعد خـلال المنطق والبديهيـة أن تبعث الـذات الالهية مـن هو بحاجـة الى التكميل والتوجيـه والاعـداد للارتقاء نحو الكمالات الروحية وغيرهـا، حين قد نجد هناك من هو خير وأرفع درجات منها.

نعم ان افتراض ذلك وهم محض، لان من غير المعقول ترجيح وتقديم المفضول على الفاضل، لانه خلاف العقل والمنطق.

فهل من المعقول أن يقدم في علم ما رجل مبتديء على فاضل مقتدر متخصص في هذا العلم؟

بل وهل يمكن أن يقال أن شخصاً له ادراك متوسط في علم النحو هو خير من سيبويه أو الفراهيدي في علمي النحو ا لادب، وهذين الرلين هما من أركانهما وسدنتهما؟

ان هذا الامر من البديهيات التي لا تحتاج كثير برهان ومزيد استدلال.

نعم، ان الكمالات العالية، والتفوق القاطع على عموم الخلق هو من الشرائط اللازمة في شـخصية الانبياء والمرسلينعليهم السلام.

قـال الله تبـارك وتعالى في سـورة يونس: ﴿ أَفَمَنْ يَهْـدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّـنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[١٤٢].

وقال جل اسمه قي سورة السجدة: ﴿أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ﴾[١٤٣].

قال العلاّمة الحلي رحمه الله: يجب أن يكون أفضل أهل زمانه، لقبح تقديم المفضول على الفاضل عقلاً وسمعاً.

وقال المحقق السيوري رحمه الله: يجب اتصاف النبي بجميع الكمالات والفضائل، ويجب أن يكون في ذلك أفضل وأكمل من كل واحد من أل زماه، لا يقبح من الحكيم الخبير أن يقدِّم الفضول المحتاج الى التكميل على الفاضل المكمَّل عقلاً وسمعاً.

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[١٤٤].

أما عقلاً فظاهر، اذ يقبح في الشاهد أن يجعل مبتدئاً مقدَّماً على أبن عباس وغيره من الفقهاء، ويجعل مبتدئاً في المنطق مقدماً على ارسطو، ومتدئاً في النحو مقدَّماً على سيبويه والخليل، وكذا في كل فن من الفنون.

وأما سمعاً فما أشار اليه سبحانه في الآية الذكورة[١٤٥].

كما ان هذا الامر تعضده جملة واسعة من الروايات المنقولة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام والتي منها:

ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله: أكثر الناس قيمة أكثرهم علماً، أقل الناس قيمة أقلهم علماً[١٤٦].

وأخيراً: فان مما يخطر بالبال أن مسألة تقديم الافضل على المفضول من القواعد الثابتة التي اتفق العقلاء على الاقرار بها، والتسليم بوجوبها، والتفاوت الملموس في التطبيق الفعلي لهذه القاعدة الثابتة في الحياة العملية للمجموع البشري وان كانت بعض مصاديقها محسوسة ومعلومة، إلاّ ان واقع الحال هذا لا يلغي الرفض العقلي لها، والاستهجان المنطقي لماهيتها.

نعم، ويشكِّل مبدأ الرفض هذا وجود هذه القاعدة الكبرى في حياة البشر، وتأثيرها المباشر في النفوس، وبشكل غريزي فطري لا مناص من الاقرار به.

واذا ذهبنا الى وجود هذه الحقيقة الثابتة في عموم التعامل البشري الحياتي، فان الذات الالهية العالمة والحكيمة أولى بالالتزام بهذه القواعد، لان مصدر الشرائع، وخلاصة العدل، وقمة النظم والتدبير، وهذا ما لا خفاء به ولا أدنى شك كما هو معروف.

الباب الثالث

الأنبياء أولو العزم

المدخل

لا خلاف بان لجميع الانبياءعليهم السلام المنزلة السامية، والشرف الرفيع، والمكانة المرموقة، والحظوة الكبيرة عند الله تبارك وتعالى، بيد أن هذه الدرجات تتفاوت قدراً وسمواً بتفاوت جملة من الخصائص والمواصفات المتصلة ببعض هؤلاء الانبياء دون البعض.

ولا يخفى بان هذه المواصفات هي التي تصنِّف اولئك الانبياء الى قسمين اثنين:

١ - الانبياء فحسب.

٢ - الرسل.

ولكل درجة من هاتين الدرجتين خصائص متفاوتة متعلقة بكيفية الاتصال بالوحي السماوي، وبطبيعة المسؤولية المضطلع بها.

فالنبي اجمالاً من يبلِّغ عن الله تعالى وحيه وأوامره الى العباد، ولكنه أقل درجة من الرسول الذي حمِّل رسالة سماوية كبرى الى عموم البشرية متمثلة بدين سماوي له أُصوله وقواعده ونظمه الخاصة له.

وهذا التفاوت البيِّن هو ما جعل الارتباط بين الاثنين وبين الوحي السماوي مختلفاً اختلافاً ملحوظاً كما هو معروف.

فالرسول يمتلك القدرة على مشاهدة جبرئيل عليه السلام والاستماع اليه، بل وحتى مكالمته ومحاورته، حين يمتنع أكثر ذلك على النبي، حيث يمكنه سماع صوت جبرئيل عليه السلام دون رؤيته، مع امكان ذلك أثناء النوم، حيث يكون ذلك بمثابة الوحي الحقيقي، لان أحلام الانبياء عليهم السلام واقعية كيقظتهم، فتكون تلك الرؤية عين الحال الذي يكون حين اليقظة، فيستلم الوحي والتوجيه الالهي ويبلِّغه للناس بعد ذلك.

فقد روي عن الحسن بن محبوب، عن الأحوال انه قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرسول والنبي فقال عليه السلام: الرسول الذي يأتيه جبرئيل عليه السلام قبلاً فيراه ويكلِّمه، فهذا الرسول.

وأما النبي فهو الذي يرى في منامه نحو رؤيا ابراهيم عليه السلام ونحو ما كان رأي رسول الله صلى الله عليه وآله من أسباب النبوة قبل الوحي حتى أتاه جبرئيل عليه السلام من عند الله تعالى بالرسالة.

وكان محمد صلى الله عليه وآله حين جُمع له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله تعالى يجيئه جبرئيل عليه السلام ويكلمه قبلاً.

ومن الانبياء من جُمع له النبوة ويرى في منامه ويأتيه الروح ويكلمه ويحِّثه من غير أن يكون يرى في اليقظة[١٥٠].

روي عن اسماعيل بن المرار انه قال: كتب الحسن بن العباس المعروفي الى الامام الرضا عليه السلام: جُعلت فداك، أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبي؟

فكتب عليه السلام أو قال: الفرق بين الرسول والنبي أن الرسول الذي ينزل عليه جبرئيل عليه السلام فيراه ويسمع كلامه، وينزل عليه الوحي، وربما رأي في منامه نحو رؤيا ابراهيم عليه السلام.

والنبي ربما يسمع الكلام، وربما رأى الشخص ولم يسمع[١٥١].

ومن هنا فان هذا التفاوت في جملة الخصائص والمواصفات والقدرات وان قسِّم أنبياء الله تعالى الى صنفين اثنين، إلاّ ان القاسم المشترك الذي يجمع بين الاثنين، وغلبة ما يمتاز به الرسول على النبي، جعل من كل رسول نبياً، حين لا يمكن اعتبار كل نبي رسولاً كما وهو واضح.

نعم، فاذا كانت جملة من الروايات المنقولة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام تذهب الى أن عدد الانبياء يبلغ مائة وأربعة وعشرين ألف نبي فان هذا العدد يتحدد منه الشيء القليل الذي يمكن أن يعد من الصنف الثاني من الانبياء الذين يعدون كرسل مكرَّمين وسادة للأُمم.

ثم ان عموم أولئك الانبياء والمرسلين عليهم السلام يشتركون بامتلاكهم للمعجز، والعصمة، وغيرها من المواصفات الخاصة بهم، والتي لا يمكن بأي حال من الاحوال تجريدهم عنها، وافتراض خلوها منها.

وهذا ما سلف منّا الحديث آنفاً وبشكل مفصل في صفحات كتابنا السالفة.

ومن هنا فانّا سنحاول أن نتعرَّض في الفصول اللاحقة الى ما يختص بالرسل، وبالتحديد الى ما يسمَّون بأُولي العزم من المرسلينعليهم السلام بشيء من البحث والتفصيل والمناقشة، وما التوفيق من عند الله العزيز الجليل.

وقفة تأمل

قال الله تبارك وتعالى في سورة الاحقاف: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[١٥٢].

والعزم في اللغة: عقد القلب على إمضاء الأمر[١٥٣].

ومن هنا فان ما يستشف من هذا المعنى كون هذه الجماعة من الانبياءعليهم السلام لهم مسؤولية جسيمة، ومهمة عسرة وشاقة تتطلب منهم عزماً وتصميماً وفعلاً يترقى الى أسمى الدرجات وأرفعها من المثابرة لاقامة ركائز الاديان السماوية التي حُمِّلوا بها، وأُلقيت تبعتها في عهدتهم.

نعم، ان الفواصل الزمنية الممتدة بين كل رسالة سماوية وأُخرى تليها تشهد كثيراً من المستجدات الحادثة، والمشاكل المعقدة، والمصاعب الكبيرة التي تحاول الرسالة اللاحقة لها مواجهتنا والتصدي لها، واقامة بنيان جديد على انقاض البنيان الذي جهدت قوى الشر والظلام على تخريبه ونقضه بجد واجتهاد، وسعي ومثابرة.

ونشر واقامة الرسالة اللاحقة هي بلا شك مسؤولية الرسول الذي تحمَّلها وتوكل بادائها، ومن هنا فان عمله هذا يتطلب بلا شك توفر العزم الكبير والصلب الذي يواجه به مجمل تلك المشاق والصعوبات، لا سيما اذا علمنا بان الرسائل السماوية تُشكِّل منهجاً سماوياً كبيراً يحاول أن يرتقي بالنفوس في عالم النقاء والسمو بعيداً عن ربقة الشهوات وبركها والآسنة.

كما ان هذا الامر يتطلَّب أيضاً القدرة على المواجهة الحاسمة مع عناصر الفساد والظلم بكافة أشكالها وتفرُّعاتها المختلفة، وامتداداتها المتشابكة والمعقَّدة.

روى علي بن ابراهيم في تفسيره للآية الكريمة: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[١٥٤].

أنهم سبقوا الانبياء الى الاقرار بالله تعالى، وأقرُّوا بكل نبي كان قبلهم وبعدهم، وعزموا على الصبر مع التكذيب لهم والاذى[١٥٥].

وروى أبو حمزة الثمالي قال: سمعت علي بن الحسينعليهما السلام يقول: من أحب أن يصافحه مائة ألف نبي أربعة وعشرون ألف نبي فليزر الحسينعليه السلام ليلة النصف من شعبان ... الى أن قال: فطوبى لمن صافحهم وصافحوه، منهم خمسة أُولو العزم من المرسلين: نوح، وابراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمَّدعليهم السلام.

قلت: ولِمَ سمُّوا أُولي عزم؟

فقال عليه السلام: لانهم بُعثوا الى شرقها وغربها، وجنِّها وإنسها[156].

الأنبياء أُولو العزم

يذهب بعض المفسِّرين الى أن أولي العزم من الأنبياء عليهم السلام المكلَّفين بالجهاد ومواجهة الظالمين والتصدي لهم، وحيث يتطلَّب ذلك الامر المزيد من الجهد والعزم الذي يتسمون به، ويتحلُّون بخلاله[157].

ثم ان البعض يذهب الى زيادة عدد اولئك الانبياء عليهم السلام الى اعداد كبيرة تصل الى ٣١٣ نبي من أنبياء الله المكرمين[158].

بيد ان الثابت في روايات الشيعة الصحيحة ان عدد اولئك الانبياء لا يتجاوز الخمسة فقط، هم:

١ - نوح عليه السلام.

٢ - ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام

٣ - موسى بن عمران عليه السلام

٤ - عيسى بن مريم عليه السلام

٥ - محمَّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم

وحيث تشير الى ذلك جملة واسعة من الروايات والاخبار المناثرة في كتب الحديث المختلفة

فمن ذلك ما رواه اسماعيل الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام من انه قال: أُولى العزم من الرسل خمسة: نوح، وموسى، وعيسى، ومحمّد عليهم السلام[159].

وروى الحسن بن فضّال عن أبي الحسن الرضا عليه السلام انه قال: انما سُمِّي أُولو العزم لانهم كانوا أصحاب العزائم والشرائع، وذلك أن كل نبي كان بعد نوح عليه السلام كان على شريعته ومنهاجه، وتابعاً لكتابه الى زمن ابراهيم الخليل عليه السلام.

وكل نبي كان في أيام ابراهيم عليه السلام وبعده كان على شريعة ابراهيم عليه السلام ومنهاجه، وتابعاً لكتابه الى زمن موسى عليه السلام.

وكل نبي في زمن موسى عليه السلام وبعده كان على شريعة موسى عليه السلام ومنهاجه، وتابعاً لكتابه الى أيام عيسى عليه السلام.

وكل نبي كان في أيام عيسى عليه السلام وبعده كان على منهاج عيسى عليه السلام وشريعته، وتابعاً لكتابه الى زمن نبينا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

فهؤلاء الخمسة أُولو العزم، وهم أفضل الانبياء والرسل عليهم السلام.

وشريعة محمّد صلى الله عليه وآله لا تنسخ الى يوم القيامة، ولا نبي بعده الى يوم القيامة[١٦٠] فمن ادعى بعده نبوة، أو أتى بعد القرآن بكتاب فدمّه مباحٌ لكل من سمع ذلك منه[١٦١].

وروى عن سماعة بن مهران من انه قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[١٦٢].

قال عليه السلام: هم أصحاب الكتب، إن نوحاً جاء بشريعة ... وذكر مثل الحديث المتقدِّم[١٦٣].

وروى عن عبدالرحمن بن بكير الهجري عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كان عدد الانبياء مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي، خمسة منهم أُولو العزم: نوح، وابراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد عليهم السلام[١٦٤].

وروي عن ابن عبّاس أنه قال: أول المرسلين آدم عليه السلام وآخرهم محمَّد صلى الله عليه وآله وكانت الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي، الرسل منهم ثلاثمائة، وخمسة منهم أُولو العزم: نوح، وابراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمَّد عليهم السلام[١٦٥].

وعن ابن ابي يعفور قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: سادة الانبياء والمرسلين خمسة، وهم أُولو العزم من الرسل، وعليهم دارت الرحى: نوح، وابراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمَّد عليهم السلام[١٦٦].

وعن سماعة بن مهران قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام: قول الله عز وجل: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[١٦٧].

فقال عليه السلام: نوح، وابراهيم، وعيسى، وموسى، ومحمد عليهم السلام.

قلت: كيف صاروا أولي العزم؟

فقال عليه السلام: لان نوحاً عليه السلام بُعث بكتاب وشريعة، وكل من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه.

حتى جاء ابراهيم عليه السلام بالصحف، وبعزيمة ترك كتاب نوح عليه السلام لا كفراً به، فكل نبي جاء بعد ابراهيم عليه السلام أخذ بشريعة ابراهيم عليه السلام ومنهاجه، وبالصحف التي جاء.

حتى جاء موسى عليه السلام بالتوراة وشريعته ومنهاجه، وبعزيمة ترك الصحف، وكل نبي جاء بعد موسى عليه السلام أخذ بالتوراة ومنهاجه.

حتى جاء المسيح عليه السلام بالانجيل، وبعزيمة ترك شريعة موسى عليه السلام ومنهاجه، فكل نبي جاء بعد المسيح عليه السلام أخذ بشريعته ومنهاجه.

حتى جاء محمَّد صلى الله عليه وآله فجاء بالقرآن وبشريعته ومنهاجه، فحلال محمَّد حلال الى يوم القيامة، وحرامه

حرام الى يوم القيامة.

فهؤلاء أُولو العزم من الرسل عليهم السلام[١٦٨].

ولعل الخلاصة في ذلك كله أن علة تسمية هؤلاء الرسل عليهم السلام بأُولي العزم جملة من المواصفات الخاصة بهم، والتي يمكن تلخيصها بالنقاط والاسباب التالية:

١ - أن هؤلاء الرسل عليهم السلام قد بعثوا الى البشرية عامة، لا الى قوم أو جماعة من الجماعات.

٢ - جاء هؤلاء الرسل عليهم السلام برسائل وشرائع كبرى نسخت الشرائع والرسائل التي سبقتها، فالمسيحية مثلاً نسخت اليهودية، والاسلام نسخ المسيحية أيضاً.

٣ - تحليهم عليهم السلام بصفات العزم والصبر وبشكل متميِّز وكبير، والمراجعة البسيطة لسيرتهم عليهم السلام تبيِّن ذلك بوضوح وجلاء.

وغير ذلك من الاسباب والعلل الأُخرى.

أُولو العزم عليهم السلام في القرآن الكريم

رغم أن القرآن الكريم لم يفصح في مطاوي آياته المباركة عن أسماء الانبياء أُولي العزم عليهم السلام عن الاشارة اليهم في سورة الاحقاف: **﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾**[١٦٩] فان ذلك لا يلغي عدم وجود التلميحات الواضحة بتكريم هؤلاء الانبياء الخمسة عليهم السلام - الذين تقدَّم منّا ذكرها في الصفحات السابقة - وذكرهم بكلمات التمييز والفرز الموشي بمكانتهم العالية والسامية قياساً بباقي الانبياء والمرسلين عليهم السلام كما في قوله تعالى في سورة الاحزاب: **﴿وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾**[١٧٠].

فذكر هؤلاء الانبياء الخمسة بعد ذكر عموم الانبياء عليهم السلام وبالتخصيص، مع اسمائهم المباركة الشريفة، فيه الكثير من الدلالة على تميُّز هؤلاء عليهم السلام عن عموم الباقين عليهم السلام كما هو معلوم.

وقريب من ذلك أيضاً قوله تعالى في سورة الشورى: **﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَ ما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾**[١٧١].

وفي هذه الآية الكريمة أيضاً من التأييد البيِّن على تكريم هؤلاء الانبياء الخمسة عليهم السلام تكريماً متميِّزاً يجعلهم بمصاف متفوق قياساً بغيرهم من الانبياء والمرسلين عليهم السلام.

وفي سورة آل عمران قال جل اسمه: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ * أُولئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا**

وَ الآْخِرَةِ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ﴾[١٧٢].

وفي تفسيره الصافي بعد ذكر الآية الأولى قال: قيل: هم أهل الكتاب الذين في عصره ﷺ قتل أوائلهم الانبياء ومتابعيهم من عباد بني اسرائيل، وهم رضوا به، وقصدوا قتل النبي ﷺ والمؤمنين، ولكن الله عصمهم.

وفي المجمع: عن النبي ﷺ انه سئل: أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟

قال ﷺ: رجل قتل نبياً أو رجلاً أمر بمعروف أو نهى عن منكر ثم قرأ، ويقتلون النبيين بغير حق، ويقتلون الذين يأمرن بالقسط من الناس.

ثم قال ﷺ: قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عباد بني اسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار في ذلك اليوم، وهو الذي ذكره الله تعالى[١٧٣].

وفي هذا الخبر المتعلّق بهذه الآية الكريمة دلالة واضحة على أن هناك في بعض العصور جملة متفاوتة من الانبياء عليهم السلام ولا يمكن عند ذلك القول بان كل واحد من هؤلاء عليهم السلام صحب رسالة وشريعة كبرى لهداية الأُمَّة تقوم بنسخ الرسالة التي سبقتها، فلا بد من أن يكون الانبياء بين أُولي العزم المذكورين عليهم السلام تناط بهم مسؤولية التبليغ برسالة الرسول الذين سبقهم من أُولي العزم عليهم السلام كما تقدَّم آنفاً في الخبر المنقول عن رسول الله ﷺ فراجع وتأمل فان فيه تفصيل شامل لاتباع الانبياء المرسلين بين أُولي العزم المذكورين.

تأمُّلات مختصرة في حياة الأنبياء الخمسة أُولي العزم عليهم السلام

أولاً: نوح عليه السلام

الحلقة الأُولى من سلسلة الانبياء أُولي العزم عليهم السلام تتمثل بالنبي الاكرم نوح عليه السلام صاحب الشريعة السماوية الكبرى، والدعوة العظيمة لعموم البشر في عصره، وحامل الكتاب السماوي المقدَّس لهداية البشرية الى طاعة الواحد القهّار، ونبذ عبادة الاصنام والأوثان.

يمتد نسبه عليه السلام الى أب البشر آدم عليه السلام من خلال سلسلة من الآباء الاجداد يمكن حصرها بما يلي:

نوح بن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ (ادريس) بنب يارد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم عليهم السلام[١٧٤].

فآدم عليه السلام هو الجد الثامن لنوح عليه السلام كما تظهره سلسلة النسب هذه[١٧٥]، وكان آدم عليه السلام قد بِشَّر به، وكان بينهما العديد من الانبياء المستخفين الذين لم يرد حتى ذكر اسمائهم في القرآن الكريم.

والظاهر – كما تذكر ذلك بعض الاخبار – ان بين هبوط آدم عليه السلام وولادة نوح عليه السلام ما يقارب من ١٦٢٤ عاماً، حين تذكر روايات العامة أن ما بين آدم ونوح عليه السلام كان عشرة قرون أو كثر[١٧٦].

أُسمي عليه السلام بنوح لانه كما تذكر الروايات ناح على قومه الف سنة إلاّ خمسين عاماً[١٧٧] أو خمسمائة عام ثم نحى عليه السلام نفسه عما كان فيه قومه من الضلالة[١٧٨].

حين قيل ان اسمه الحقيقي هو عبدالجبار، وقيل: عبد الغفار، وقيل: عبدالرحمن، وقيل: عبدالملك وعبدالاعلى[١٧٩]، وجميعها كما هو واضح تُثبت له العبودية لله تبارك وتعالى.

وكان عليه السلام يسمَّى ويدعى بشيخ الانبياء، ونجي الله[١٨٠].

وأما وصفه فقد قيل فيه: انه كان الى الادمة ما هو، دقيق الوجه، في رأسه طول، عظيم العينين، دقيق الساق، كثير لحم الفخذين، ضخم السرة، طويل اللحية، عريضاً طويلاً جسيماً، وكان في غضبه وانتهاره شدة[١٨١].

بعثة نوح عليه السلام

قال الله تبارك وتعالى في سورة هود: ﴿وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما نَراكَ إِلاَّ بَشَراً مِثْلَنا وَ ما نَراكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا بادِيَ الرَّأْيِ وَ ما نَرى لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبِينَ * قالَ يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَ آتانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَ نُلْزِمُكُمُوها وَ أَنْتُمْ لَها كارِهُونَ * وَ يا قَوْمِ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مالاً إِنْ أَجرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَ ما أَنَا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَ لكِنِّي أَراكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ * وَ يا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ * وَ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَ لا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْراً اللهُ أَعْلَمُ بِما فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قالُوا يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا فَأَكْثَرْتَ جِدالَنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قالَ إِنَّما يَأْتِيكُمْ بِهِ اللهُ إِنْ شاءَ وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * وَ لا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرامِي وَ أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ * وَ أُوحِيَ إِلى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ * وَ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَ وَحْيِنا وَ لا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ * وَ يَصْنَعُ الْفُلْكَ وَ كُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ * حَتَّى إِذا جاءَ أَمْرُنا وَ فارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَ مَنْ آمَنَ وَ ما آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ * وَ قالَ ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللهِ مَجْراها وَ مُرْساها إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَ هِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبالِ وَ نادى نُوحٌ ابْنَهُ وَ كانَ فِي مَعْزِلٍ يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا وَ لا تَكُنْ مَعَ الْكافِرِينَ * قالَ سَآوِي إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْماءِ قالَ لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَ حالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ * وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَ يا سَماءُ أَقْلِعِي وَ غِيضَ الْماءُ وَ قُضِيَ الأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَ قِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَ نادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَ إِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَ أَنْتَ أَحْكَمُ الْحاكِمِينَ * قالَ يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ * قالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْئَلَكَ ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَ إِلاَّ تَغْفِرْ

لِي وَ تَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخاسِرينَ * قِيلَ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَ بَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَ عَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَ أُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ * تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١٨٢].

ان هـذه الآيـات المباركة - بالاضافـة الى غيرها[١٨٣] - تحكي جملة الظـروف التي أحاطت بنبي الله نـوح عليه السلام منذ بعثته وحتى نزول العقاب اللاهـي بقومه الذين كذّبوه وانكروا بنوته، وجحدوا بالآيات التي توعدهم بها، وانذرهم بحلولها فيهم، وما سيحل بعدها عليهم من العذاب الاليم والشديد.

تقول الروايات المنقولة بان نوحاً عليه السلام كان نجاراً يكتسب قوته من عمله الذي كان يؤديه، وكان كثير الشـكر والحمد لله تبارك وتعالى، ولذا فقد جاء ذكره في القرآن الكريم مقترناً الشـكر، حيث قال جل اسمه في سورة الاسراء: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً﴾[١٨٤].

حيـث قـال الطبرسي رحمه الله شـارحاً لها: انّ نوحاً كان عبداً لله تعالى، كثير الشـكر، وكان اذا لبس ثوباً أو أكل طعاماً أو شرب ماءً شكر الله تعالى، وقال: الحمد لله.

وقيل: انه كان يقول في ابتداء الاكل والشرق: بسم الله، وفي انتهائه: الحمد لله.

وروي عن أبي عبدالله وأبي جعفر عليهما السلام ان نوحاً كان اذا أصبح وأمسـى قال: اللهم اني أُشـهدك أن ما أصبح بي من نعمة في دين أو دنيا فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد، ولك الشـكر بها عليَّ حتى ترضى وبعد الرضا. فهذا كان شكره[١٨٥].

وروي مثل ذلك عن أبي جعفر عليه السلام في العلل[١٨٦] وفي تفسير القمي[١٨٧].

وروي أيضاً عن الامام السـجّاد عليه السلام انه قال: أخذ الناس ثلاثة من ثلاثة: أخذوا الصبر عن أيوب، والشكر عن نوح، والحسد عن نبي يعقوب[١٨٨].

وقـد بعثـه الله تعالى الى قومه مبشراً ومنذراً وهادياً الى صراط العزيز الحميد، فما آمن به من قومه إلاّ بعد طول دعوة استمرت - بنص القرآن الكريم - تسعمائة وخمسين عاماً.

قل جل اسمه: ﴿وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عاماً﴾[١٨٩].

بقـي عليه السلام طيلة هذه الفترة الطويلـة يدعو قومه الى الله تعالى فلا يزدادون إلاّ طغياناً وكفراً ومخالفة له ولدعوته، حتى قيل: ان الرجل منهم كان ياتي بابنه وهو صغير[١٩٠] فيقفه على رأس نوح عليه السلام فيقول: يا بني إن بقيت بعدي فلا تطيعن هذا المجنون!![١٩١].

وبقـي عليه السلام عـلى هـذه الحال، حتـى جاء أمـر الله تعالى باغـراق قومه لانه لـن يؤمن منهـم بعد ذلك أحد[١٩٢]، وان يصنع سفينة ليحمل فيها أهله ومن آمن معه، وكذا زوجين من كل حيوان - ذكر وأنثى - لتواصل الحياة مجراها بعد ذلك، وبعد هلاك الظالمين الكافرين[١٩٣].

وهكذا شاءت ارادة الله تعالى - بعد اتمام الحجة على قوم نوحعليه السلام - بان يغرقوا في الطوفان الرهيب الذي اكتسح الارض وغطى الجبال، ولم ينجو منه أحد إلاّ من شاء الله تعالى وعصمه من الغرق.

وقفة تأمُّل في حياة نوحعليه السلام

التأمـل المتدبِّـر في حيـاة نوحعليه السلام وجهـاده من أجل اعـلاء كلمة الحـق، وقيادة قومه صـوب عبادة الواحدة الاحد، وكما ترويها آيات القرآن الكريم المتفرِّقة في السـور المختلفة التي سـبق لنا أن أشرنا الى العديد منها، كل ذلك يقود الى رسم المنهج القويم الذي اتبعهعليه السلام من أجل اتمام رسالته، واقامة دعوته المباركة.

فقراءة الآيات المباركة في سورة نوح - مثلاً - والتأمل في كيفية محاورتهعليه السلام لقومه من أجل اقناعهم باتباعـه واتبـاع الدين السـماوي الذي جـاء به من قبل الله تبـارك وتعالى، يبيِّن للقـاريء مناهج التبيين والحجة الدامغة التي كان يدلي بها على قومه، وهم سادرون في غيهم، مسترسلون في كفرهم.

قـال الله تبـارك وتعالى حاكيـاً عن نوحعليه السلام قوله: ﴿قالَ يا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيـرٌ مُبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللهَّ وَ اتَّقُـوهُ وَ أَطِيعُـونِ * يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَـمًّى إِنَّ أَجَلَ اللهَّ إِذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١٩٤).

وقال أيضاً: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهاراً * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْراراً * فَقُلْتُ اسْـتَغْفِرُوا رَبَّكُـمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً * يُرْسِـلِ السَّـماءَ عَلَيْكُمْ مِـدْراراً * وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِيـنَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَ يَجْعَـلْ لَكُـمْ أَنْهـاراً * مـا لَكُمْ لا تَرْجُونَ للهَّ وَقـاراً * وَ قَدْ خَلَقَكُـمْ أَطْواراً * أَ لَمْ تَـرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهَّ سَـبْعَ سَـماواتٍ طِباقـاً * وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّـمْسَ سِراجـاً * وَ اللهَّ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْراجاً * وَ اللهَّ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسـاطاً * لِتَسْـلُكُوا مِنْها سُـبُلاً فِجاجاً﴾(١٩٥).

ولمـا يئـس نوحعليه السلام من قومه أن يهتـدوا، وقد أُخبر من لدن الله تعالى بانه لـن يؤمن منهم غير الذين آمنوا، انتقل بالدعاء عليهم، ومسائلة الله جل اسمه أن يهلكم بذنوبهم.

نعـم، لقـد شرع نوحعليه السلام مـع قومه بالاسـتدلال العقلي على خالق الكـون، وقدراتـه البيِّنة في خلق مـن مخلوقـات كبرى تحيط بهم، وأخبرهمعليه السلام بـان الله تعالى هو الذي بيده مقاديـر كل شيء، وانه مدبِّر كل شيء، ولكـن لم يكـن حديثـه ليجدي نفعاً مع هؤلاء القـوم الذين كما تذكِّر بعـض الآيات المباركة انهـم كانـوا كلما دعاهم للتوبة والعمل الصالح حتى يغفر الله تعالى لهـم ﴿جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ وَ اسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وَ أَصَرُّوا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً﴾(١٩٦).

ولم يؤمن من قوم نوحعليه السلام رغم طول فترة بقائه فيهم على ما تذكر بعض الروايات أكثر من ثمانين شخصاً، وللمرء أن يتصور ما أحاط نوحعليه السلام من الضيق والمصاعب والشدائد العظام وهو يرى أن معدل ما يؤمن به كل اثني عشر عاماً شخص واحد فحسب!!

بيد ان ذلك لم يثن نوحعليه السلام عن مواصلة دعوته والمجاهرة بها، رغم ما كان يحيطه من المصاعب والشدائد الكبيرة والمتلاحقة التي لم تنفك تنهال عليه حتى أواخر حياته.

فهوعليه السلام يُتهم بالجنون والتخريف من قبل قومه، بل ويوصي كبيرهم صغيرهم بذلك، داعين الجميع الى مقاطعته، ونبذ دعوته كما تقدَّم منّا الاشارة الى ذلك آنفاً.

بل وكان استخفاف قومه به متصلاً متواصلاً حتى عند شروعه ببناء السفينة، واعدادها للطوفان الذي كان يشكِّل النهاية الحتمية للعتاة والكافرين والمستهزئين من قومه.

بل وهذه امرأته - على ما جاء في سورة التحريم - تخونه على عظم دعوته، وكثرة جهاده: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللهِ شَيْئاً وَ قِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[١٩٧].

ثم ترى أن ولداً من أولاد نوحعليه السلام يقوده جهله الى الغرق لرفضه اتباع والده نوحعليه السلام في الصعود الى سفينته التي كانت تمخر عباب الماء المتلاطم والمضطرب.

بل وغير ذلك من المصاعب والشدائد التي تلاحقت على هذا النبي الكريمعليه السلام لكن ذلك كله لم يثنه عن مواصلة رسالته، والجد في الدعوة الى الله تبارك وتعالى، واطاعة أوامره، والانتهاء عن نواهيه، فكان بحق مدرسة كبرى من مدارس الدعوة الى التوحيد بمناهجها وأساليبها المختلفة المباركة.

ثانياً: ابراهيم الخليلعليه السلام

النبي الثاني من الانبياء أُولي العزمعليهم السلام الذين كانوا أصحاب شريعة وكتاب ودعوة عالمية كبرى للبشرية جمعاء.

كانت الفاصلة الزمنية بينه وبين نوحعليه السلام ألف عام كما تذكره الرواية المنقولة عن الامام الصادقعليه السلام[١٩٨].

ولذا فان نسبهعليه السلام يتصل بنوح من خلال سلسلة من الآباء والاجداد يمكن حصرهم بما يلي:

ابراهيم بن تارخ بن تاحور بن سروح بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن ارفكشاذ بن نوح[١٩٩].

حين يذكر أهل الكتاب بان نسبه كما يلي:

ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أفخشذ بن سام بن نوح.

وعموماً فان نوحعليه السلام هو الجد الثامن لابراهيمعليه السلام كما ذكرنا آنفاً.

كانت أُمه – على ما يذكر ذلك الكلبي – تدعى بونا بنت كربتا بن كرثي من بني أفخشذ بن سام بن نوحعليه السلام.

وتذكر الاخبار بان أُمه وأُم لوط كانتا أُختين لاب واحد يدعى بلاحج، إلا أن الظاهر كون زوجتي ابراهيم ولوطعليهما السلام كانتا أُختين لا أُميهما، وحيث تذكر الأخبار بانهعليه السلام تزوج سارة ابنة لا حج، وهو ما سنتعرض له لاحقاً ان شاء الله تعالى.

ولدعليه السلام في كوثى ربا[٢٠٠] وكان أبوه من أهلها، فنشأ فيها وشب.

توفي والده وهو في بطن أُمه، فكفله بعد ذلك عمه آزر، فاعتاد على أن يدعوه بأبي لما أملته رعايته له وتربيته.

ولادته ونشأتهعليه السلام

تذكر بعض الروايات المنقولة عن أهل البيتعليهم السلام أن ابراهيمعليه السلام ولد في اليوم الاول من شهر ذي الحجة[٢٠١].

وانهعليه السلام ولد في زمن نمرود بن كنعان، وزعم بعضهم أن نمرود كان ولاة كيكاوس، وبعضهم قال: كان ملكاً برأسه.

وقيل: أن أُمَّه خافت عليه من نمرود الذي كان قد أخبره منجموه[٢٠٢] بانه سيولد في ذلك الزمان من ينسخ دينه الفاسد، ويدعو الى دين جديد، فخبأته في غار بعيد عن عين الزقباء ورجال السلطة.

وتذكر هذه الاخبار انهعليه السلام كان يشب يوماً كما يشب غيره في الشهر، فاشتد عوده واستقام خلال فترة قصيرة من الزمن حتى أخذ يضاهي الرجال الاقوياء.

ولما صار عمره ثلاثة عشر عاماً خرج مع أُمه الى بلده، وحينها بدأت مناظراته ومجادلاته مع قومه عبدة الاوثان في بابل[٢٠٣].

ابراهيمعليه السلام وقومه

من المحاجات الرائعة والملفتة للنظر ما درج عليه ابراهيمعليه السلام من مناهج علمية رصينة في اثبات بطلان عبادة قومه والدعوة الى عبادة الواحد القهّار، حيث كان شروعهعليه السلام باسلوب ذكي ورصين في

اقامة الحجج القاطعة على صحة دعواه وفساد عبادتهم التي ما انفكوا عليه عاكفين.

والقرآن الكريم بآياته المختلفة يبيّن بوضوح هذه المناهج الرائعة التي اعتمدها ابراهيم عليه السلام في ذلك.

فلنقرأ ولنتأمّل في بعض تلك الجوانب التي أشرنا اليها.

قال الله تبارك وتعالى في سورة مريم: ﴿وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِبْراهِيمَ إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا * إِذْ قالَ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ وَ لا يُبْصِرُ وَ لا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً * يا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ ما لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِراطاً سَوِيًّا * يا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلرَّحْمنِ عَصِيًّا * يا أَبَتِ إِنِّي أَخافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحْمنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطانِ وَلِيًّا﴾[٢٠٤]

هكذا كانت دعوته عليه السلام أول أمره لابيه آزر، ومن ثم لمن يحيطه من قومه وأصحابه.

﴿وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَ تَتَّخِذُ أَصْناماً آلِهَةً إِنِّي أَراكَ وَ قَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ * وَ كَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قالَ هذا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بازِغاً قالَ هذا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بازِغَةً قالَ هذا رَبِّي هذا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قالَ يا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[٢٠٥].

وهكذا نرى أن ابراهيم عليه السلام استدرج قومه في محاورة ذكية لاقناعهم ببطلان ما هم عليه من عبادة الكواكب والنجوم وغير ذلك من الموجودات التي خلقها الله تعالى وسخّرها لخدمة البشر، لا أن يتخذها الناس الهة لهم دون الله الخالق الجبّار.

قال العلاّمة المجلسي رحمه الله تعليقاً على ذلك: يمكن ارجاع قوله عليه السلام الى الدليل المشهور بين المتكلِّمين من عدم الانفكاك عن الحوادث، والاستدلال به على امكانها وافتقارها الى المؤثر، أو الى انها محل التغيير والحوادث، والواجب تعالى لا يكون كذلك.

أو الى أن الأُفول والغروب نقس، وهو لا يجوز على الصانع.

أو الى أن هذه الحركة الدائمة المستمرة تدل على انها مسخرة لصانع، والعقل يحكم بأن الصانع مثل هذا الخلق لا يكون مصنوعاً.

أو ان الغيبة والحضور والطلوع والأُفول من خواص الاجسام ويلزمها الامكان لوجوه شتى[٢٠٦].

وفي سورة الشعراء قال تعال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِيفاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْراهِيمَ * إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما تَعْبُدُونَ * قالُوا نَعْبُدُ أَصْناماً فَنَظَلُّ لَها

عاكِفِينَ * قالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قالُوا بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ * قالَ أَ فَرَأَيْتُمْ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ الْعالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَ الَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَ يَسْقِينِ * وَ إِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَ الَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَ الَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾(٢٠٧)

ومن ثم انتقل ابراهيمعليه السلام الى المواجهة القاطعة المبرهنة على بطلان عبادة قومه وفسادها: ﴿وَ لَقَدْ آتَيْنا إِبْراهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا بِهِ عالِمِينَ * إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما هذِهِ التَّماثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ * قالُوا وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ * قالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ * قالُوا أَ جِئْتَنا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ * قالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَ أَنَا عَلى ذٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَ تَاللهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إِلاَّ كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قالُوا مَنْ فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قالُوا سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ * قالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ * قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ * قالَ أَ فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَ لا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ﴾(٢٠٨).

وفي سورة الصافات: ﴿فَراغَ إِلى آلِهَتِهِمْ فَقالَ أَ لا تَأْكُلُونَ * ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ * فَراغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ * قالَ أَ تَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ * وَ اللهُ خَلَقَكُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ﴾(٢٠٩).

ولمّا أُسقط في أيديهم، ولم يحيروا أمام حججه وأقواله رداً لجأوا الى سلاح الطغاة والمتكبّرين أمام دعاوي المصلحين ورسالاتهم الكبرى التي ستؤدي بالتالي الى هز عروشهم، وتفنيد وتسفيه أحلامهم، فد عزموا على تصفيته والقضاء عليه، وباسلوب بشع ووحشي، وهو أن يُلقى في النار ليُحرق بها، ويُقضى بذلك على دعوته، ولكن الله تعالى رد كيدهم في نحورهم، وأفسد ما دبروا له، وما أبرموه، وبانت المعجزة الكبرى بأحقانية دعوة هذا الرسول الكريمعليه السلام عندما أمر الله تعالى النار بأن تكون عليه برداً وسلاماً، وأن لا يمسه منها ضرر ولا أذى، فكان ذلك الامر واحدة من المعجزات الالهية التي اقترنت بحياة ابراهيمعليه السلام وتعلّقت به، وقد تقدّم منّا الحديث مفصلاً أبان حديثنا عن صفات الانبياء الخاصة، ومنها المعجزة: ﴿قالُوا حَرِّقُوهُ وَ انْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ * قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْداً وَ سَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ * وَ أَرادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾(٢١٠).

﴿قالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْياناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾(٢١١).

روى أبان بن عثمان عن أبي عبداللهعليه السلام انه قال: أخبرني أبي، عن جدي، عن النبيصلى الله عليه وآله عن جبرئيلعليه السلام

قال: لما أخذ نمرود ابراهيمعليه السلام ليلقيه في النار قلت: يا رب عبدك وخليلك، ليس في أرضك أحد يعبدك غيره.

قال الله تعالى: هو عبدي آخذه اذا شئت.

ولما أُلقي ابراهيمعليه السلام في النار تلقاه جبرئيلعليه السلام في الهواء وهو يهبط الى النار فقال: يا أبراهيم، لك حاجة؟

فقالعليه السلام: أما لك فلا، وقال: يا الله يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد نجني من النار برحمتك.

فأوحى الله تعالى الى النار: ﴿كُونِي بَرْداً وَ سَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ﴾[٢١٢][٢١٣].

وقفة صغيرة

لقد كان لتصريح ابراهيمعليه السلام أمام قومه بعد تحطيمه للاصنام بيده بان مَنْ فعل ذلك كان كبيرهم - أي قوله الذي حكاه عنه الله تبارك وتعالى في سورة الانبياء (بل فعله كبيرهم) - موضعاً كبيراً للاخذ والرد والمناقشة، لان ظاهره يوحي بوقوع الكذب عن نبي الله رغم عصمته التي تنافي وقوع الكذب من المعصوم كما هو ثابت ومعلوم.

ورغم أن التأمل البسيط في مجمل الظروف والاحداث التي أحاطت بهعليه السلام وكيفية محاورته لهم يظهر بجلاء ووضوح التفسير المناسب لهذا القول، ونفي ما يمكن أن يوصم به، إلاّ إنّا سنحاول هنا أن نستعرض الوجوه المحتملة لتفسير هذا القول، والتي يمكن اجمال بعضها بما يلي:

فمن ذلك ما ذكره السيِّد المرتضى رحمه الله من: ان الخبر مشروط غير مطلق، لانه قال: (ان كانوا ينطقون) ومعلوم أن الاصنام لا تنطق، وان النطق مستحيل عليها، فما علّق بهذا المستحيل من الفعل مستحيل أيضاً.

وانما أراد ابراهيمعليه السلام بهذا القول تنبيه القوم وتوبيخهم وتعنيفيهم بعبادة من لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يقدر أن يخبر عن نفسه بشيء، فقال: ان كانت هذه الاصنام تنطق فهي الفاعلة للتكسير، لان من يجوز أن ينطق يجوز أن يفعل، واذا علم استحالة النطق عليها علم استحالة الفعل، وعلم باستحالة الامرين انه لا يجوز ان تكون الهة معبودة، وأن من عبدها ضال مضل.

ولا فرق بين قوله: انهم فعلوا ذلك ان كانوا ينطقون، وبين قوله: انهم ما فعلوا ذلك ولا غيره لانهم لا ينطقون ولا يقدرون.

وأما قوله: (فاسألوهم) فانما هو أمر بسؤالهم أيضاً على شرط، والنطق منهم شرط في الامرين،

فكأنه قال: ان كانوا ينطقون فاسألوهم، فان لا يمتنع أن يكونوا فعلوه، وهذا يجري مجرى قول أحدنا لغيره: من فعل هذا الفعل؟ فيقول: زيد ان كان فعل كذا وكذا، ويشير الى فعل يضيفه السائل الى زيد، وليس في الحقيقة من فعل، ويكون غرض المسؤول نفي الامرين عن زيد، وتنبيه السائل على خطأه في إضافة ما أضافه الى زيد[٢١٤].

ثم أن العلاّمة المجلسي رحمه الله ذكر أيضاً وجوهاً أُخرى في تأويل ذلك: منها: انه لم يكن قصد ابراهيم عليه السلام الى ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم، وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على وجه تعريضي، وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتاباً بخط رشيق وأنت تحسن الخط: أنت كتبت هذا؟ وصاحبك أُمي لا يحسن الخط، فقلت له: بل كتبت أنت! كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء، لا نفيه عنك.

ومنها: ان ابراهيم عليه السلام غاظته تلك الاصنام حين أبصرها مصففة مرتبة، فكان غيظه من كبيرتها أشد لما رأى من زيادة تعظيمهم لها، فأسند الفعل اليه لانه هو السبب في استهانته وحطمه لها، والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه.

ومنها: ان يكون حكاية لما يلزم على مذهبهم، كأنه قال: نعم، ما تنكرون ان يفعله كبيرهم، فان من حق من يعبد أو يدعى الهاً أن يقدر على هذا وأشد منه، أو أنه يلزمكم على قولكم أن لا يقدر على كسرهم إلاّ إله أكبر منهم، فانَّ غير الإله لا يقدر أن يكسر الله.

ومنها: انه كناية عن غير مذكور، أي فعله من فعله، وكبيرهم ابتداء كلام.

ومنها: ما يروى عن الكسائي أنه كان يقف عند قوله (كبيرهم) ثم يبتدأ فيقول: (هذا فاسألوهم) والمعنى: بل فعله كبيرهم، وعنى نفسه، لان الانسان أكبر من كل صنم.

ثم أضاف رحمه الله: يظهر من كثير من الاخبار أن هذا صدر عنه عليه السلام على وحه التورية والمصلحة، ويمكن توجيه التورية ببعض الوجوه المتقدمة، وروى الكليني بسنده عن معمر بن عمر، عن عطا، عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا كذب على مصلح، ثم تلا ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ﴾[٢١٥] فقال: والله ما سرقوا وما كذب، ثم تلا﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ﴾[٢١٦] ثم قال: والله ما فعلوه وما كذب.

وروى علي بن ابراهيم القمي بسنده عن الحسن بن الصيقل قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام: إنّا قد روينا عن أبي جعفر عليه السلام في قول يوسف عليه السلام ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ﴾ فقال: والله ما سرقوا وما كذب، وقال ابراهيم عليه السلام: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ﴾ فقال عليه السلام: والله ما فعلوا وما كذب.

قال: فقال أبو عبدالله عليه السلام: ما عندكم فيها يا صيقل؟

قلت: ما عندنا فيها إلاّ التسليم.

قال: فقال عليه السلام: ان الله تعالى أحب اثنين، وأبغض اثنين، أحب الخطر[٢١٧] فيما بين الصفين، وأحب الكذب في الاصلاح، وأبغض الخطر في الطرقات، وأبغض الكذب في غير الاصلاح، إن ابراهيم عليه السلام قال: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ وهذا ارادة الاصلاح، ودلالة على انهم لا ينطقون، وقال يوسف عليه السلام ارادة الاصلاح.

وروى عن عدة من اصحابه بسنده عن أبي بصير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: التقية من دين الله.

قلت: من دين الله؟

قال عليه السلام: أي والله من دين الله، قال يوسف عليه السلام: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ والله ما كانوا سرقوا شيئاً، ولقد قال ابراهيم عليه السلام ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ والله ما كان سقيماً[٢١٨].

ابراهيم عليه السلام النبي الكريم

التأمل المتفحِّص في حياة نبي الله ابراهيم عليه السلام يظهر بانها مرت خلال مراحل خمسة تحددت كل مرحلة بمنهج وحالة خاصة بها تدل على السمو الروحي والفكري لهذا النبي عليه السلام والتي يمكن الاشارة اليها اختصاراص هنا بعد أن تعرضنا وستتعرض ان شاء الله تعالى الى جوانب مما يتعلق بها:

المرحلة الاولى: العبادة الخالصة لله تبارك وتعالى، والتقبُّل السماوي لتلك العبادة وتكريمها.

المرحلة الثانية: التصدي لمسؤولية النبوة الكريمة، والتوفيق الاكبر في ادائها.

المرحلة الثالثة: الوصول الى مرتبة الرسول صاحب الرسالة الكبرى.

المرحلة الرابعة: القرب الكبير من الله تبارك وتعالى، وادراك المنزلة العالية التي أهلته لان يكون خليلاً لله تعالى.

المرحلة الخامسة: وتشكِّل قمة النضج والرفعة والوصول الى درجة الإمامة المنصَّبة من قبل الله تعالى، والمشار اليها في الآية ١٢٤ من سورة البقرة[٢١٩] والتي تقدَّم منّا الحديث عنها مفصلاً في مباحثنا السابقة.

ولا يخفى على أحد ان ابراهيم عليه السلام كان ولا زال مصداقاً للتوحيد الخالص الذي اقترن به ولازمه، مع تمتعه عليه السلام بالكثير من الخصال العالية والرفيعة التي تجعله قدوة كبرى متميِّزة للكمالات السامية

الانسانية المختلفة، كالايثار، ومعرفة الله تعالى، والاخلاص في الطاعة والعبادة، والمجاهدة الصابرة والمحتسبة، وغير ذلك من الصفات الكريمة التي تمثل الخلاصة الامثل لعموم الرقي الاخلاقي البشري.

نعم، ومن هنا فانّا نجد أن الله تبارك وتعالى يعرفه عليه السلام بان أُمَّة، وأنه قدوة صالحة يستن بها حتى الانبياء عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شاكِراً لِأَنْعُمِهِ اجْتَباهُ وَ هَداهُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَ آتَيْناهُ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٢٢٠].

مواقف متفرِّقة في حياة ابراهيم عليه السلام

كثيرة هي المواقف المتفرِّقة التي يمكن للمرء استخلاصها من خلال التأمل والتفحُّص في حياة ابراهيم عليه السلام والتي يمكننا الاشارة المتعجلِّلة اليها من خلال المحطات التالية:

١ - اراءته عليه السلام ملكوت السموات والارض.

قال الله تبارك وتعالى في سورة الانعام: ﴿وَ كَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[٢٢١].

قال العلّامة المجلسي رحمه الله: ارائته ملكوت السماوات والارض يحتمل أن يكون ببصر العين، بان يكون الله تعالى قوّى بصره، ورفع له كل منخفض، وكشط له عن أطباق السماء والارض حتى رأى ما فيهما ببصره.

وأن يكون المراد رؤية القلب، بان أنار قلبه حتى أحاط بها علماً.

والاول أظهر نقلاً، والثاني عقلاً.

والظاهر على التقديرين انه أحاط علماً بكل ما فيهما من الحوادث والكائنات.

وأما حمله على انه رأى الكواكب وما خلقه الله تعالى في الارض على وجه الاعتبار والاستبصار واستدل بها على اثبات الصانع فلا يخفى بعده عما يظهر من الاخبار[٢٢٢].

٢ - رفعه قواعد البيت الحرام مع ولده اسماعيل عليهما السلام.

قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْماعِيلُ رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَ أَرِنا مَناسِكَنا وَ تُبْ عَلَيْنا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٢٢٣].

٣ - سؤالهعليه السلام احياء الموتى.

قال عز من قائل: ﴿وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى قالَ أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَ اعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢٢٤].

وغير ذلك ممّا تقدّمت الاشارة اليه في مطاوي أحاديثنا السابقة.

رابعاً: موسى بن عمرانعليه السلام

النبي الثالث من الرسل أُولي العزمعليه السلام وصاحب الشريعة الجديدة، والكتاب المقدّس، والدعوة الكبرى لعموم البشر.

بُعثعليه السلام بعد ابراهيمعليه السلام بخمسمائة عام، وعمّر مائتين وأربعين عاماً.

يعود نسبه الى ابراهيمعليه السلام ضمن سلسلة من الآباء والاجداد، حيث يشكّل ابراهيمعليه السلام الجد الخامس له.

فهو موسى بن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم[٢٢٥].

يقال أن أُمه كان تدعى يوكابد، وذكر ابن كثير أن الهيلي قال: اسم أُم موسى أيارخا، وقيل: أياذخت[٢٢٦].

وموسىعليه السلام من بني اسرائيل الاسم المعروف لدى اليهود ليعقوبعليه السلام وحيث تفرع نسب الاسرائيليين منه، وتكاثرت ذرياتهم.

فيعقوبعليه السلام عاش ما يقارب من سبعة عشر عاماً في أواخر حياته في مصر، وتوفي هناك مخلّفاً اسرته التي توسعت وشكّلت أُسرة بني اسرائيل هناك.

ولقد كان بنو اسرائيل يعيشون كجماعة منعزلة متفردة ضمن المجتمع المصري الكبير والذي كان يحكمه آنذاك مجموعة من الفراعنة الذين برز منهم ثلاثة هم:

١ - ايوفس، وكان معاصراً ليوسفعليه السلام.

٢ - رامسيس الثاني، كانت ولادة موسىعليه السلام في عصره.

٣ - منفتاح، وهو ابن رامسيس الثاني، وهو الذي أرسل الله تبارك وتعالى موسى وهارونعليهما السلام اليه، وكان أبان تربية ونشأة موسىعليه السلام في قصر رمسيس شاهداً على ذلك، ومراعيا له على ما في ظاهر الاخبار.

وهذا الفرعون يدعى في كتب بين اسرائيل بـ(فرعون خروج).

كـما ان هـذا الفرعون هـو الذي أطبق عليه البحر مع جيشـه بعد أن تتبَّع موسـىعليه السلام وبني اسرائيل عندما عبروا البحر الاحمر.

موسىعليه السلام ومراحل حياته

قصة موسـىعليه السلام من القصص الشـائعة والمعروفة، والتي تكرر ذكرها كثيراً في القرآن الكريم، وفي مواضع مختلفة متعددة.

كما ان حياتهعليه السلام يتفرعاتها المتشابكة، وما يشكِّله الترابط الخاص بالوحي السماوي، والالهام الالهي، والمناجـاة المقدَّسـة من أثر كبير في نسـج أبعاد هذهالحياة يعد من المواصفـات الخاصة العظيمة في حياة الانبياء والمرسلينعليهم السلام.

وعموماً فان الدراسـة المتأنية لحياة هذا النبي الكريمعليه السلام تبيِّن بان الخط البياني لحياته وسـيرته يمكن تقسيمها الى مراحل خمسة، يمكن الاشارة المتعجِّلة اليها من خلال النقاط التالية:

المرحلـة الاولى: وتشـتمل عـلى الظروف المعاصرة لولادته، وما كان من مشـيئة الله تعالى بان ينشـأ ويترعرع في بيت فرعون طاغية عصره.

المرحلة الثانية: هروبه من مصر وتوجهه نحو مدين حيث أرض النبي شعيبعليه السلام.

المرحلة الثالثة: بعثتهعليه السلام وتوجهه صوب مصر مرة أُخرى ، ولقائه بفرعون.

المرحلـة الرابعـة: خروجهعليه السلام ببني اسرائيـل من مصر، وغرق فرعون خـلال تتبعه لهعليه السلام وما رافق ذلك من توجهه صوب بيت المقدس في فلسطين.

المرحلة الخامسة: المصاعب التي واجهها بسبب فساد بني اسرائيل وانحرافهم.

موسىعليه السلام في القرآن الكريم

تكرر اسم موسىعليه السلام في القرآن الكريم كثيراً كما هو معروف[٢٢٧]، كما تكرر ذكر مواقفه وقصصه مع قومه من بني اسرائيل، وهذا ما يستدعي بالقاريء والمتأمل المزيد من التفحص والدراسة والعنايةبهذا المطلب المهم والحساس في هذا الكتاب المقدَّس.

فالقرآن الكريم هو الدستور السماوي الذي يشكِّل الامتداد العظيم والقويم بين البشر وبين الخالق جل اسمه، وما يرد فيه يراد منه بلا شك أن يكون منهجاً ومدرسة تستلهمها النفوس البشرية لتجاوز حلقات التخبط والتعثر والسقوط، والاندفاع بأمن واطمئنان صوب مرافيء الامان، وسواحل النجاة التي بشَّر بها هذا الكتاب العزيز.

ومـن هنـا فان هذا التكـرار المتوالي في ذكر هـذا النبي الكريمعليه السلام ومـا يرتبط به، ومـا يتفرَّع عنه قد لفـت أنظار الباحثين والدارسـين، وبشـكّلٍ لا يسـع أحد انـكاره أو الاعراض عنه، فتوسـعت نتيجة ذلك البحوث والدراسـات المتخصصة، وبأشـكال ومناهج مختلفة تناولت الكثير من الدقائق والعلل والاغراض المرتبطة بهذا الامر، والمتفرعة عنه.

ونحـن اذ نمـر عـلى ذكر هـذا النبي الكريمعليه السلام فانّا لا يسـعنا هنـا أن نخوض في غـمار التفصيلات الواسـعة والكبيرة لحياته، لانها لا تسـتوعبها المجلـدات الضخمة والكبيرة، على أنّنا نشـير الى أن أكبر أبعاد تلك الحياة المباركة تندرج ضمن الابعاد الخمسة التي أشرنا اليها آنفاً، ولله الحمد أولاً وآخراً.

رابعاً: عيسىعليه السلام

النبي الرابع من الانبياء أُولي العزمعليهم السلام هو المسيح عيسى بن مريمعليه السلام.

ولدعليه السلام قبل ولادة نبي الاسلام الاكرم محمَّد بن عبداللهصلى الله عليه وآله وسلم بحوالي ٥٧٠ عاماً.

وذكرت بعض اخبارنا أن ولادته كانت في أرض الكوفة، وأن النهر الذي كان الى جنب والدتهعليها السلام كان نهر الفرات[٢٢٨]

حـين تذكـر بعـض الأخبـار المنقولة الأُخـرى أن ولادتـه كانت في قريـة الناصرة في بيـت المقدَّس بفلسطين.

ولادتـه كـما هو معـروف كانت من قبـل الاعجاز الالهـي المذهل، حيـث حملت به أُمـه مريم بنت عمرانعليها السلام[٢٢٩] وهي عذراء لم يمسسها بشر.

ومريم هذه من أفاضل النسـاء وأطهرهنَّ، وهي تُعد واحدة من النسـاء الاربعة التي كثر تكريمهن والثناء عليهن في أكثر مناسبة من قبل نبي الاسلام محمَّد بن عبداللهصلى الله عليه وآله وسلم وهن:

١ – خديجة بنت خويلد زوجة النبي الاكرمصلى الله عليه وآله وسلم.

٢ – فاطمة الزهراءعليها السلام بضعة رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم.

٣ – آسية بنت مراحم زوجة فرعون.

وعمران والد مريمعليها السلام من الشخصيات الكبيرة والمعروفة والمبجلة في بني اسرائيل، ويعد في بعض الروايات من أنبيائهم وهداتهم، وهو من نسل النبي داودعليه السلام.

عيسىعليه السلام[٢٣٠] الرسول الكريم

كانـت ولادة عيسـىعليه السلام في عـصر عمَّـه الفسـاد والانحـراف، والكفـر والاشراك من قبـل الكثير

من أحبار ورجال بني اسرائيل وبشكل كبير ومريع، بحيث يعسر ادراك مواطن للنقاء والطهر إلاّ في حدود ضيقة محددة جداً.

وكانت والدته مريم عليها السلام قد منَّ الله تعالى بها على أبويها بعد أن نذرت أُمها ما في بطنها لله محرراً، بأن يخدم في بيت المقدس، ولما ولدتها أُنثى فاجأها ذلك، ولكن الله تعالى ثبت على قلبها وربط، وجعل من ابنتها طاهرة مطهرة، تحمل خير مولود في عصره.

ولما حملت عليها السلام بعيسى عليه السلام وانتبذت به مكان قصياً، وجاءها المخاض، وهبط عيسى عليه السلام الى الارض، والى عالمنا هذا، جاء مبشراً عليه السلام بدعوة جديدة مباركة تنسخ الديانة اليهودية التي أصابها الشرخ، واعتراها الهرم والعجز بعد ما حل ببني اسرائيل من الانحراف والمعصية والابتعاد عن الشريعة التي جاء بها موسى عليه السلام من قبل.

واذا كانت ولادة عيسى عليه السلام قد تمت بشكل اعجازي كبير، فانه عليه السلام أكَّد على قومه ثانية عندما خاطبهم وهو لم يزل في المهد صبياً.

ونتأمل سوية بعض مفردات تلك الحقائق المعجزة الكبرة في طيات آيات الكتاب العزيز.

قال تعالى في سورة مريم: ﴿وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَكاناً شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا * قالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قالَ إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيًّا * قالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَ لَمْ أَكُ بَغِيًّا * قالَ كَذلِكِ قالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَ لِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَ رَحْمَةً مِنَّا وَ كانَ أَمْراً مَقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكاناً قَصِيًّا * فَأَجاءَهَا الْمَخاضُ إِلى جِذْعِ النَّخْلَةِ قالَتْ يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا وَ كُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا * فَناداها مِنْ تَحْتِها أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَ هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا * فَكُلِي وَ اشْرَبِي وَ قَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ قالُوا يا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا * يا أُخْتَ هارُونَ ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ ما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشارَتْ إِلَيْهِ قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا * وَ جَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَ أَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا * وَ بَرًّا بِوالِدَتِي وَ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا * وَ السَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[٢٣١].

والتأمل - كما ذكرنا - في مجمل هذه الآيات القرآنية المباركة، وغيرها من التي تحدثت عن الاعجاز الالهي من ولادة ونشأة المسيح عليه السلام يظهر بجلاء أن الله تبارك وتعالى قد أقام الحجة البالغة على بني اسرائيل وغيرهم من خلال هذا النبي الكريم عليه السلام ودعوته الكبرى.

فـما أن بلـغ عليه السلام الثانية عـشر من عمره حتى بـدأ يفد على مجالس علـماء اليهود وكهانهـم وعظمائهم ويباحثهـم في معتقداتهـم وآرائهم، وبشـكل أعجـز القوم فيه عن أي يحيـوروا أمامه جوابـاً، أو يردوا أمراً.

ومع الأيام وتصديه عليه السلام للرسالة السماوية الكبرى كان ضيق زعماء بني اسرائيل وبرمهم بعيسى عليه السلام يشـتد ويتضاعـف، حـين كان عليه السلام يواصـل دعوته جامعـاً حوله خلّـص أصحابه وصفوتهـم، والذين يعرفون باسم الحواريين، الذين تصدوا للكثير من القضايا المهمة من بعد رفعه عليه السلام الى السماء.

وكان عليه السلام يدعـم دعوتـه بالكثـير مـن البراهـين الاعجازيـة التي سـبق لنـا الحديث عنهـا في بحث معجزات الانبياء عليهم السلام المتقدِّم.

ثم انه كان عليه السلام يحيا حياة بسيطة جداً كحياة المساكين والفقراء المدقعين والزهّاد.

قـال عنه الامام علي عليه السلام: كان يتوسـد الحجز، ويلبس الخشـن، وكان ادامه الجـوع، وسراجه بالليل القمر، وظلاله في الشـتاء مشـارق الار ومغاربها، وفاكهته ريحانة ما انتبب الارض للبهائم، ولم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولد يحزنه، ولا مال يتلقه، ولا طمع يذله، ودابته رجلاه، وخادمه يداه[٢٣٢].

رفعه عليه السلام الى السماء

وكما ذكرنا آنفاً فان موقف عيسى عليه السلام لم يكن يروق سدنة ذلك العصر وأحباره والمفسدين المتنفِّذين في أُمور الدنيا باسم الدين من كبار رجالات بني اسرائيل.

وكانت وطأته تزدادا عليهم يوماً بعد يوم، فلم يجدوا بداص من محاولة القضاء عليه وتصفيته.

وهكـذا أبرموا أمرهم، وشرعوا بتنفيذه، ولكن الله تعالى أحبط مكرهم، وأفشـل مؤامرتهم، وأنقذ نبيه الكريم عليه السلام من القتل، ورفعه اليه بعد شبَّه عليهم، وهو ما يذكره القرآن الكريم في آياته المباركة.

فقد قال الله تبارك وتعالى في سورة آل عمران: ﴿وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللهُ وَ اللهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ إِذْ قالَ اللهُ يا عِيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رافِعُكَ إِلَيَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ جاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[٢٣٣].

وفي سـورة النسـاء قال جل اسمه: ﴿وَ قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ وَ ما قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَ كانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[٢٣٤].

وهكـذا أبطل الله تعالى كيدهم ومكرهم، ورفع اليه رسـوله الكريـم عليه السلام مكرَّماً مطهَّراً من أرجاس الكافرين وأوزارهم، متوعداً إيّاهم بالعذاب الشديد، والعقاب الأليم.

نعم، رُفع عيسى بن مريمعليه السلام وكان عمره ٣٤ عاماً الى السماء، وتوسعت من بعده القاعدة التي تقول بالمسيحية، ولكن شتان ما بين ما كان يدعوا اليه ذلك النبي الكريمعليه السلام وبين ما تقول به هذه الجماعات التي تنتشر في أنحاء العالم، ولا سيما في أوربا كما هو معروف.

خامساً: محمَّد بن عبداللهصلى الله عليه وآله وسلم

النبي الخامس من الانبياء أُولي العزمعليهم السلام هو محمَّد بن عبداللهصلى الله عليه وآله وسلم خاتم الانبياء والمرسلين، وأكرم المخلوقين، وأحبهم الى الله تعالى، وصاحب الكتاب المقدَّس والشريعة الكبرى التي نسخت ما قبلها من الشرائع، وأقامت صرحاً خالداً يرافق عموم البشرية حتى نهاية العالم في يوم القيامة.

ونبي الاسلام الاكرمصلى الله عليه وآله وسلم هو الذي بشَّر بظهوره الانبياء والمرسلينعليهم السلام من قبل في أكثر من مناسبة ومكان، ودعوا فيه الجميع الى اتباعه والانقياد له وطاعته، وكما أشار القرآن الكريم الى بعض ذلك في طيّات آياته المباركة الكريمة.

ففي مكة المكرَّمة اكتحلت عينا العالم بولادة هذا المبعوث الكريم، في اليوم السابع عشر من شهر ربيع الاول عام ٥٧٠ ميلادية.

وما أن بلغ عمره الاربعين عاماً حتى حمَّله الله تبارك وتعالى بالرسالة العظيمة الكبرى الى البشرية جمعاء.

وبعد ثلاثة عشر عاماً أمضاهاصلى الله عليه وآله وسلم في مكة المكرَّمة حيث مهبط الوحي شد الرحال صوب المدينة المنورة ليواصل من هناك بث دعوته ونشرها، والجهاد في سبيل تثبيت قواعدها المباركة المقدَّسة، في أجلِّ وأكرم وأعظم رحلة في تأريخ البشرية ووجودها، وليمسي الاسلام بعد ذلك الدين الذي تقرَّ باتباعه مئات الملايين من البشر في عموم الارض وبقاعها المختلفة.

وبعد أن أتمصلى الله عليه وآله وسلم أداء الواجب الملقى على عاتقه الشريف رفعه الله تعالى اليه في الثامن والعشرين من شهر صفر من العام الحادي عشر الهجري عن عمر يناهز الثالثة والستين، ليوارى الثرى في مدينته المطهَّرة التي آوته ونصرته، وليصبح قبره الشريف مهبطاً للملائكة، ومريعاً للقلوب المحبة الواهة على طول التأريخ.

نسبه الشريفصلى الله عليه وآله وسلم

نبي الاسلامصلى الله عليه وآله وسلم ينحدر من عائلة شريفة مطهَّرة من قريش.

يتصل نسبه بآدم عليه السلام من خلال ٤٨ حلقة مطهّرة فيها العديد من الانبياء والمرسلين كاسماعيل وابراهيم ونوح وآدم عليه السلام.

وعموماً فانّا يمكننا الاشارة المتعلجّلة الى نسبه الشريف كما يلي:

فهو صلى الله عليه وآله وسلم: محمَّد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم، بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[٢٣٥].

وعدنان - كما تروي جملة من المصادر المختلفة عن أُم سلمة - بن أُدد بن زيد بن ثرا بن أعراق الثري.

تقول أُم سلمة: زيد هميسع، وثرانيت، وأعراق الثرى اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام[٢٣٦].

وقيل: عدنان بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار بن اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن اراغوا بن فالغ بن عابر - وهو هود عليه السلام - بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ - وهو ادريس عليه السلام - بن يارد بن مهلائيل يارد بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام[٢٣٧].

وأما أُمّه فيه آمنة بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب[٢٣٨].

الخلاصة في حياته المباركة صلى الله عليه وآله وسلم

لا يسع المرء استعراض ما يفي بالغرض من حياته المباركة على صفحات كتاب من كتبه وأن توسع في ذلك وأطنب، لان البحر لا يُغترف ماؤه بالكف قطعاً، ولكن ما لا يدرك جله لا يترك كله، وهذا ما سنحاول في الباب الاخير من كتابنا التعرُّض الى بعض جوانبه باذن الله تعالى.

إلاّ ان المهم في الامر اننا يمكننا التعرُّف الى الكثير من جوانب حياته المباركة الشريفة من خلال الابعاد الاربعة التالية:

١ - الاشارة اليه في الكتب السماوية المقدّسة قبل ولادته صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ - المرحلة الممتدة منذ الولادة وحتى البعثة النبوية المباركة، والتي استغرقت أربعين عاماً.

٣ - مرحلة ما بعد النبوة وحتى الهجرة الى المدينة المنورة، والممتدة ثلاثة عشر عاماً.

٤ - حياته صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة المنورة وحتى وفاته، وقدرها عشر سنين.

وقفة لا بد منها

وأخـيراً ونحن نطوي الصفحات الاخيرة مـن هذا الباب الذي تعرّضنا في جوانب محددة من حياة وأدوار الانبياء أُولي العزمعليهم السلام لابد لنا من أن نعرِّج باختصار الى ما يتعلَّق بأهداف الانبياءعليهم السلام وفلسفة بعثتهم.

فأهداف الانبياء والمرسَـلينعليهم السلام كما هو معروف تتلخَّص بهداية الانسانية وانقاذها من الانحرافات الفكرية والعملية، واخراجها من عالم الظلمات الى باحات النور وبقاعه المقدَّسة المباركة.

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[٢٣٩].

وقال جل اسـمه: ﴿كِتَـابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُـمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[٢٤٠].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[٢٤١]

وعمومـاً فانّـا يمكننـا ضمن هـذه العجالـة تحديد عشرة أهـداف كـبرى لبعثة الانبيـاءعليهم السلام يمكن تلخيصها كالتالي:

١ – اقامة الحجة واتمامها.

قال الله تبارك وتعالى في سـورة النسـاء: ﴿رُسُـلاً مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[٢٤٢].

٢ – الحكم بين الناس والقطع في ما اختلفوا فيه.

قـال الله تعـال: ﴿كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِيـنَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾[٢٤٣].

٣ – تحرير الناس ورفع الاغلال عنهم.

قال تعالى في سـورة الاعراف: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُـولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّـوْراةِ وَ الإِنْجِيـلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهاهُمْ عَـنِ الْمُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الأَغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[٢٤٤].

٤ – اقامة العدالة وتثبيت أركانها.

قـال تعـالى: ﴿لَقَـدْ أَرْسَـلْنا رُسُـلَنا بِالْبَيِّنـاتِ وَ أَنْزَلْنـا مَعَهُـمُ الْكِتـابَ وَ الْمِيـزانَ لِيَقُـومَ النَّـاسُ بِالْقِسْطِ﴾[٢٤٥].

٥ – الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قـال جل من قائل: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُـولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَـهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ

الْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[٢٤٦].

٦ - التعليم والتربية.

قال عز من قائل: **﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾**[٢٤٧]

٧ - التزكية والتطهير.

قال الله تعالى كما جاء على لسان ابراهيم واسماعيل عليهما السلام: **﴿رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَ أَرِنا مَناسِكَنا وَ تُبْ عَلَيْنا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**[٢٤٨].

وقال عز من قائل في سورة الجمعة: **﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾**[٢٤٩].

٨ - انقاذ الأُمَّة من قيود الطواغيب.

قال الله تعالى: **﴿وَ لَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾**[٢٥٠]

٩ - وقع المستوى الفكري والعقائدي للبشرية.

روي عن الامام الكاظم عليه السلام انه خاطب هشام بن الحكم: يا هشام، ما بعث الله تعالى أنبياءه ورسله الى عباده إلاّ ليعقلوا عن الله، فاحسنهم استجابة أحسنهم معرفة، وأعلمهم بمر الله أحسنهم عقلاً، وأكملهم عقلاً أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة[٢٥١].

١٠ - تهذيب النفوس البشرية والارتقاء باخلاقها.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: انما بُعثت لأُتمم مكارم الاخلاق[٢٥٢].

الباب الرابع

النبوة الخاصة وبحوث حول النبي الأكرم محمَّد بن عبدالله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم

المدخل

تقـدَّم منّـا الحديث آنفاً في بحوثنا السـابقة عن النبوة العامة باعتبارها سـفارة بـين الله تبارك وتعالى وبـين العبـاد من المخلوقين، وتطرَّقنا من خلال ذلك اجمالاً الى بعـض جوانب النبوّات الخاصة بجملة مـن الرسـل والانبياءعليهم السلام مسـتعرضين أيضاً ما يتعلَّق بالبعثة النبوية وحسـنها ووجوبهـا في نظر الفرق الاسلامية المختلفة والمتعددة، ثم تناولنا ما يختص بالتفاوت بين الانبياء والمرسلينعليهم السلام وغير ذلك من البحوث المرتبطة بها، والمتفرِّعة عنها.

وسـنحاول هنا – ومن خـلال هذا الباب – التعرُّض للنبوة الخاصة، وبالتحديد نبوة سـيِّد الانبياء والمرسَلينعليهم السلام محمَّد بن عبداللهصلى الله عليه وآله وسلم وبشكل مختصر متعدِّل، وما التوفيق إلاّ بالله العزيز الحكيم.

الفصل الاول

البشائر بولادته ومبعثه ﷺ

لا يخفى على أحد كون نبي الاسلام محمَّد بن عبدالله ﷺ هو سيِّد الانبياء والمرسلين، وصاحب الشريعة السماوية المباركة التي تختم بها وتنسخ جميع الشرائع التي سبقتها، وان البشرية جمعاء مكلَّفة باتباعه والالتزام بالدين الجديد الذي يأتي به ويقيمه منهجاً ودستوراً لها، وهذا ممّا ثبت عقلاً ونقلاً كما هو معروف.

ثم ان هذا التتويج والتكريم لهذا النبي ﷺ ولدينه المبارك الكريم لابد من أن تكون قد سبقته اشارات وتلويحات بيَّنة من قبل الانبياء والمرسلين السابقين، ومن قبل الكتب السماوية التي جاءوا بها، وأبلغوها أتباعهم ومريديهم.

ومن هنا، فان الاستقراء المتأني في مجمل الاخبار والروايات، أو حتى الكتب السماوية التي جاء بها أنبياء الله تعالى ورسله - ورغم ما أصابها من التحريف والتشويه - يظهر بجلاء وصدق صواب ما ذكرناه، وما أشرنا اليه.

وسنحاول هنا استعراض بعض تلك البشائر والاشرات المتحدِّثه عنه ﷺ والمنقولة في المصادر المختلفة، والمتفرِّقة.

البشارات في أديان السابقة

كثيرة هي البشائر الواردة في التوراة والانجيل، والمشيرة الى الرسول الاكرم ﷺ رغم ما أصاب هذين الكتابين والمقدَّسين من التحريف والتشويه، وحيث يشير القرآن الكريم الى ورود تلك البشائر

والتصريحات ضمن آياته المباركة الكريمة.

فمـن ذلـك ما جاء في سـورة الاعراف من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُـولَ النَّبِـيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ الإِنْجِيلِ﴾[٢٥٣].

وقوله جل اسـمه في سـورة البقرة: ﴿الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٢٥٤]

وقوله عز من قائل في سورة الصف: ﴿وَ إِذْ قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إِسْرائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[٢٥٥]

وفي دعاء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام الوراد في سورة البرة: ﴿رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢٥٦].

وغي ذلك من الآيات القرآنية الصريحة المشـيرة الى التصريح والاشـارة الواضحة في كتب السـماء السابقة بظهور النبي المكرَّم محمَّد صلى الله عليه وآله وقيامه بدين سماوي جديد يجب على الجميع طاعته واتباعه.

فمـن ذلـك ما جاء في انجيل يوحنا الاصحاح الرابع عشر: ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزّياً آخر ليمكث معكم الى الأبد[٢٥٧].

وفيه أيضاً: لكني أقول لكم الحق: انه خير لكم أن انطلق لانه ان لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن ان ذهبت ارسله اليكم، ومتى جاء ذلك يبكّت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة.

وقال: ان لي أُموراً كثيرة لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلَّم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلَّم به، ويخبركم بأُمور آيتة[٢٥٨].

وفيه أيضاً: وأما المعزّى روح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلّمكم كل شيء، ويذكّركم بكل ما قلته لكم[٢٥٩].

وغـير ذلك من النصـوص المختلفة المتعددة، إلاّ الملفت للنظر وضع كلمـة (براقليطوس) اليونانية التي تعني المعزّى أو المسـلّي أو المعين، بدلاً من كلمة (بريقليطوس) التي تعني المحمود، والتي يرادفها اسم أحمد كما هو معروف.

فيوحنـا عندما كتب انجيله باليونانية نقلاً عن العبرية التي كان يتكلَّم بها المسـيح عليه السلام كانت الكلمة الثانيـة هـي الموجـودة بقرينة بطلان ما ذهبوا اليه مـن أن المراد به روح القدس كـما يزعمون، لان قوله (آخـر) دليـل على التعدد، خلاف مـا يعني روح القدس من كونه واحد، كـما ان ما جاء من انه يمكث معكم الى الابد دليل على مجيء نبي برسالة تختم جميع الرسالات وتبقى مع الناس حتى يوم القيامة.

ثـم ان قولـه بوجـوب انطلاقـه ليأتي المعـزّى التـالي له اشـارة الى حقيقة ان رسـالتين سـماويتين لا

تجتمعان، بل ان التالية تنسخ الاولى، وان الرسول السابق يجب أن يرحل ليأتي بعده رسول جديد كما هو معلوم.

بل وهناك الكثير من الشواهد والادلة التي يمكن أن يستدل بها الباحث والمستقرىء لاثبات حقيقة ما ذكرناه.

الفصل الثاني

ولادته ﷺ وما رافقها من الاحداث

رافقت ولادته ﷺ الكثير من الاحداث والوقائع الكبرى المختلفة التي دلت على عظم تلك الولادة، ومدى تأثيرها على مجمل الاحداث وتطوراتها، وحيث يمكن استجلاء ذلك من خلال المراجعة المتعجِّلة للكثير من الروايات المتعرِّضة لها.

فمن ذلك ما رواه أبان بن عثمان عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام من انه قال: كان ابليس لعنه الله تعالى يخترق السماوات السبع، فلما ولد عيسى عليه السلام حجب عن ثلاث سماوات.

وكان يخترق أربع سماوات فلما ولد رسول الله ﷺ حجب عن السبع كلها، ورميت الشياطين بالنجوم، وقالت قريش: هذا قيام الساعة الذي كنّا نسمع أهل الكتاب يذكرونه.

قال عمرو بن أُمية - وكان من أزجر[٢٦٠] أهل الجاهلية:- انظروا هذه النجوم التي يهتدي بها، ويعرف بها أزمان الشتاء والصيف، فان كان رمي بها فهو هلاك كلشيء، وان كانت ثبتت ورمي بغيرها فهو أمر حدث.

وأصبحت الاصنام كلها صبيحة ولد النبي ﷺ ليس منها صنم إلاّ وهو منكب على وجهه.

وارتجس[٢٦١] في تلك الليلة ايوان كسرى، وسقطت منه أربعة عشر شرفة.

وغاضت[٢٦٢] بحيرة ساوة.

وفاض وادي السماوة.

وخمدت نيران فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام.

ورأي المؤبذان[٢٦٣] في تلك الليلة في المنام ابلاً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة انسربت الى بلادهم.

وانقصم طاق الملك كسرى من وسطه، وانخرقت عليه دجلة العوراء[٢٦٤].

وانتشر في تلك الليلة نور من قبل الحجاز ثم استطار حتى بلغ المشرق.

ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلاّ أصبح منكوساً، والملك مخرساً لا يتكلَّم يومه ذلك.

وانتزع علم الكهانة. وبطل سحر السحرة.

ولم تبق كانة في العرب إلى ججبت عن صاحبها.

وعظمت قريش في العرب، وسمّوا آل الله عز وجل.

قال الامام الصادقعليه السلام: انما سمّوا آل الله تعالى لانهم في بيت الله الحرام.

وقالت آمنة: ان ابني والله سقط فاتقى الارض بيده، ثم رفع رأسه الى السماء فنظر اليها، ثم خرج مني نور أضاء له كل شيء، وسمعت في الضوء قائلاً يقول: إنك ولدت سيد الناس فسمِّيه محمَّداً.

وأُتي به عبدالمطلب لينظر اليه وقد بلغه ما قالت أُمه فأخذه فوضعه في حجره ثم قال: الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الاردان، وقد ساد في المهد على الغلمان.

ثم عوَّذه بأركان الكعبة، وقال فيه أشعاراً.

قال: وصاح ابليس لعنه الله تعالى في أبالسته افجتمعوا اليه فقالوا: ما الذي أفزعك يا سيدنا؟

فقال لهم: ويلكم لقد أنكرت السماء والارض منذ الليلة، لقد حدث في الارض حدث عظيم ما حدث مثله منذ رفع عيسى بن مريم، فاخرجوا وانظروا ما هذا الحدث الذي قد حدث.

فافترقوا ثم اجتمعوا اليه وقالوا: ما وجدنا شيئاً.

فقال ابليس لعنه الله تعالى: أنا لهذا الامر.

ثم انعمس في الدنيا فجالها حتى انتهى الى الحرم فوجد الحرم محفوظاً بالملائكة، فذهب فصاحوا به، فرجع ثم صار مثل الصر – وهو العصفور – فدخل من قبل حراء، فقال له جبرئيلعليه السلام: وراءك لعنك الله.

فقال له: حرف أسألك عنه يا جبرئيل، ما هذا الذي حدث منذ الليلة في الارض؟

فقال له: ولد محمَّدصلى الله عليه وآله وسلم.

فقال له: هل لي فيه نصيب؟

قال: لا.

قال: ففي أُمّته؟

قال: نعم.

قال: رضيت[٢٦٥].

الفصل الثالث

البعثة النبوية المباركة

كان العصر الذي زامل بعثة النبي الاكرم محمَّد بن عبدالله ﷺ على الرغم مما أحاطه من مظاهر الكفر والاشراك البيِّنين لا يخلو من بقايا الاديان السابقة التي بشر بها الانبياء السابقون عليهم السلام وأوصياؤهم وتلامذتهم والداعون اليهم، وهذا ما دفع الدارسين والباحثين الى افتراض كون النبي الاكرم ﷺ قبل بعثته المباركة ملتزماً بواحدة من تلك العقائد التي يصنِّفونها الى الاصناف الثلاثة التالية:

١ - كونه ﷺ من أوصياء المسيح عيسى بن مريم عليه السلام والدين الذي جاء به.

٢ - على ملة ابراهيم الخليل عليه السلام.

٣ - صاحب شريعة خاصة تلقاها عن طيق الالهام والوحي.

وتؤيد النظرية الثالثة جملة من الروايات المختلفة.

ولقد روينا آنفاً قول الامام علي عليه السلام عنه ﷺ: ولقد قرن الله تعالى به ﷺ من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المارك ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره[٢٦٦].

وعموماً فان الرسول الاكرم ﷺ كان يتوجه في كل شهر جملة من الليالي نحو غاز حراء[٢٦٧] - وفي بعض الروايات كان ينقطع في كل عام شهراً كاملاً، وقيل انه في شهر رمضان - متفرِّغاً لعبادة الله تبارك وتعالى، ومتفكِّراً بما يدور حوله من مظاهر وأحداث.

ولا مناص من القول بان هذا التفرُّغ كان اعداداً روحياً وتربوياً من قبل الله تعالى لرسوله الكريم من أجل تلقي الوحي، وتحمُّل الرسالة الكبرى بعد أن كان ﷺ يرى في منامه الرؤى الصادقة المعبرة عن درجة من درجات الاهام السماوي الصادق بين الله تبارك وتعالى ورسله المكرَّمين.

فقد روى السيد الطباطبائي رحمه الله عن محمَّد بن كعب وعائشة أن أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة، وكان يرى الرؤيا فتأنيه مثل فلق الصبح، ثم حبب اليه الخلاء، فكان يخلو ﷺ في غار حراء[268].

وبعد أن أمضى رسول الله ﷺ على ذلك الامر ردحاً من الزمن شاءت ارادة الله تبارك وتعالى أن يطلّف عبده المصطفى بالرسالة، وكان حينها ﷺ في الاربعين من عمره الشريف المبارك.

ففي يوم السابع والعشرين من شهر رجب، وبالتحديد في عام ٦١٠م نزل جبرئيل عليه السلام بالامر الالهي، وأبلغ الرسول الكريم جملة من الآيات القرآنية المباركة، وهي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ﴾[269].

وما أن تلقى رسول الله ﷺ الوحي الالهي من جبرئيل عليه السلام حتى استشعر عظم الرسالة الملقاة على عاتقه، والمسؤولية الكبرى التي كلاِّف بها، مع ما انتابته من مشاعر شتى وهو يخاطب جبرئيل عليه السلام ويتلقى منه الوحي.

فتوجه ﷺ صوب بيته، وصوت جبرئيل عليه السلام يردد: يا محمَّد أنت رسول الله وأنا جبرئيل، فم يكد يصل بيته الطاهر حيث تنتظهره زوجته الطيبة الوفية خديجة رضوان الله تعالى عليها، حتى اضطجع ﷺ في فراشه وتدثَّر، طلباً للراحة والاسترخاء، إلاّ أن الوحي جاءه مرة أُخرى مخاطباً ايّاه:

﴿يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَ رَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَ ثِيابَكَ فَطَهِّرْ * وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَ لا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَ لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[270].

وهكذا انطلق الرسول الاكرم ﷺ في اداء الرسالة الكبرى الملقاة على عاتقه الشريف، فشرع بدعوة أهله المقرَّبين منه، فكانت خديجة أول امرأة آمنت به وصدَّقته، وكان علي بن ابي طالب عليه السلام أول رجل آمن به، وحيث كان الاثنان خير عون له في نشر دعوته المباركة، والذود عنهابالغالي والنفيس.

ومن ثم تلاحق المؤمنون به وبدعوته، فكان زيد بن حارثة ثالثهم، وحيث كانوا يتوخون السرية والحذر في تبليغ الدعوة للآخرين.

وغم اتخاذ رسول الله ﷺ جانب الدعوة السرية الى الاسلام، إلاّ ان عدد المسلمين بدأ بالتكاثر والتزايد، وأخذ أريج الدعوة المباركة يداعب الانوف والقلوب الحزينة التي طال شوقها وانتظاهرها للدين الجديد الذي سيخرج العالم من الظلام الى النور، ومن الرق والعبودية الى عالم الحرية والكرامة

بكل مصاديقها ومفرداتها المختلفة.

وبدأ رسول الله يختار من أصحابه واحداً واحداً يبلِّغه بالرسالة والوحي، وهم يتكاثرون ويمارسون عباداتهم سراً وبعيداً عن أعين الرقباء والجواسيس من أتباع الطواغيت والظلمة.

واستمرت تلك الحالة ثلاث سنوات بطولها ليأمره الله تعالى بعد ذلك بالجهر بها واظهارها على الملأ، والمترجم هذا الامر بقوله تعالى في سورة الحجر:

﴿فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ كُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[٢٧١].

فكانت هذه المرحلة تشكِّل انعطافاً خطيراً في حياة الاسلامية وبنائها، لما تعنيه من المواجهة الشرسة المباشرة مع أركان الظلم والفساد التي كانت تتربع على ادارة شؤون الناس في قريش بالقوة والدماء.

ولم تتجاوز قريش عن دعوة رسول الله ﷺ رغم ما تعرفه من صدقه وأمانته وما يتمتع به من الخصال الطيبة الجميلة، لما تشكِّله دعوته من خطر داهم على عروشهم الخاوية التي بنوها على ركام الضحايا، ودماء المساكين، فشهروا حرابهم بوجهها، ومارسوا أقسى وأشد أنواع التنكيل والتعذيب لاتباعه من المسلمين[٢٧٤]، وحاولوا استمالته ﷺ بالاغراء والترغيب، لكنه لم يلق لاقوالهم آذاناً صاغية، وواصل دعوته ونشر دينه، فلم تجد قريش وسيلة إلاّ تصفيته والقضاء عليه.

ولما كان عمه أبو طالب رضوان الله تعالى علي سنده وحاميه، فان قريش لم تجد من وسيلة لتحقيق هذا المطلب الخبيث، إلاّ عند وفاته، وبقاء رسول الله ﷺ دون حاميه وكافله الوفي، حتى روي عنه ﷺ انه قال: ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب[٢٧٥].

وجاءت وفاة عمه[٢٧٦] لتفتح الباب على مصراعيه أمام نوايا قريش لتنفذ خطتها بقتل النبي الكريم والقضاء على دعوته، ولكن الله تعالى حفظ رسوله الكريم بعد أن أمره بالهجرة الى المدينة المنورة[٢٧٧]، وذلك بعد عشر سنوات من المواجهة والتحدي مع قريش وأزلامها، وليمضي على دعوته المباركة ثلاثة عشر عاماً في مكة المكرَّمة.

الفصل الرابع

الهجرة النبوية المباركة

بعد أن تهيأت الارضية الصلبة لرسول الله ﷺ في المدينة المنورة، واشتداد التضييق عليه وعلى المسلمين في مكة المكرمة، شد ﷺ الرحال نحو تلك المدينة الطيبة التي بايعها العديد من رجالها ونسائها[٢٧٨] في العقبة على السمع والطاعة له.

فشرع المسلمون بالهجرة جماعات وافراداً، متحاشين أنظار رجال قريش وأزلامهم الاجلاف، متحمِّلين حرارة الصحراء ولهيبها الساخن، وقساوتها الكبيرة استجابة لله تعالى ولرسوله الكريم ﷺ مسجلين أروع صور الجهاد والتفاني والطاعة، صانعين هناك مع الانصار - بجدهم واجتهادهم وصبرهم وجهادهم، وعرفهم ودمائهم -مجداً كبيراً للاسلام وأهله سيبقى خالداً مدى التأريخ والزمان، وليقيموا هناك بامرة رسول الله ﷺ أول دولة اسلامية اهتزت لها عروض الحكومات الكافرة التي كانت تسوم الناس الخسف، وتقودهم نحو الخراب والدمار، في الدنيا والآخرة.

الفصل الخامس

غزوات رسول الله ﷺ

لم يكن المجد العظيم الذي صنعه رسول الله ﷺ مع أهل بيته الطيبين الاطهار، وصحبه المنتجبين الاخبار ليتأتى بالسلم والموعظة فحسب، بل كان يرافق ذلك الجهاد المر بالسيف المضرَّج بالدماء القانية التي اصطبغت بها أرض الصحراء ورمالها اللاهبة، وحيث سطَّر الجميع أعظم الملاحم وأروعها في تأريخ الاديان السماوية، ووجودها المقدَّس.

ولا يسعنا هنا أن نستعرض جملة المغازي التي قادها رسول الله ﷺ بنفسه، متحمِّلاً قساوة الحرب وضرواتها، مفتدياً دينه بنفسه ومهجته، أو السرايا التي بعثها ﷺ الى الجهات والنواحي المتفرِّقة نصراً للاسلام، واعزازاً له، لان ذلك ممّا لا تستوعبه صفحات كتابنا المحدودة هذا، إلاّ إنّا سنحاول الاشارة المتعجِّلة الى مجمل تلك الغزوات والسرايا، محيلين القاريء الكريم الى كتب السيرة والتأريخ المتخصصة، والتي لا يعسر على أحد مطالعتها واستقراؤها.

فأهل السيرة والمعازي يذكرون بان العزوات التي قادها رسول الله ﷺ بنفسه ست وعشرون غزوة، حين كان مجمل السرايا التي بعثها ﷺ ولم يخرج بها ستاً وثلاثين سرية.

وأما الغزوات التي باشر ﷺ القتال فيها بنفسه فكانت تسع غزوات، هي: بدر، وأُحد، والخندق، وبنو قريضة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف(٢٧٩).

وكانت أول سرية بعثها ﷺ بقادة عمه حمزة رحمه الله حيث ساروا حتى بلغوا البحر من أرض

جهينـة، حيـث التقـوا بأبي جهل بن هشـام، ولكـن مجدي بن عمـرو الجهني حجز بـين الفريقين، فلم يحصل بينهما أي قتال[٢٨٠].

ثـم تتالت بعدها الغزوات والمعارك والسرايا، كغزوة العشـيرة، وغـزوة بدر، وغزوة بني القينقاع، وبدر، وبني النضير، وقريظة، ومؤتة، وتبوك، ومعركة خيبر، وحنين، وغيرها.

الفصل السادس

نظرة في معجزات رسول الله ﷺ

تقـدَّم منّـا الحديـث آنفاً – عند تعرُّضـن الى مبحث الملـكات والصفات الخاصـة بالانبياء عليهم السلام – الى مـا جانب محـدد مما يتعلَّق بمعجـزات النبي الاكرم ﷺ وأشرنـا الى أن تحقق هذه المعجـزات على أيدي الانبياء عليهم السلام من المؤكدات والمؤيدات لنبوة هذا النبي ودعوته السماوية، وسنحاول هنا في هذا الفصل التحدُّث والتعرُّض لبعض تلك المعجزات بجانب من البحث والمناقشة المعجَّلة.

قال العلاّمة الحلي رحمه الله في الباب الحادي عشر:

الاول: في نبـوة نبيِّنـا محمَّد بن عبدالله بن عبدالمطلب، رسـول الله ﷺ لانه ظهرت المعجزة على يده، كالقرآن، وانشقاق القمر، ونبوغ الماء من بين أصابعه، واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل، وتسبيح الحصـا في كفه، وهي أكثر من ان تُحصى، وادعى النبـة فيكون صادقاً، وإلاّ لزم اغراء المكلَّفين بالقبيح، فيكون محالاً[٢٨١].

ومـن هنـا فان جملة مـا تقدَّم ذكره مـن المعجزات الخارقـة والعظيمة التي أجراهـا الله تعالى على يد رسـوله الكريـم يتبين بوضوح وجلاء دور هذه المعجزات في تثبيـت وتركين نبوته ﷺ في أذهان الناس وتفكيرهم.

القرآن الكريم معجزة رسول الله ﷺ الكبرى

كتاب الله العزيز الذي جاء به رسـول الله ﷺ يُعد بحق من أكبر المعجزات وأعظمها، والتي سـبتقى كذلك حتى نهاية العالم مصداقاً للاعجاز، واثباتاً لعجز البشرية عن مجاراتها والدنو من أطرافها.

وكان الحديـث منّـا قـد تقدَّم حول هـذه المعجـزة، والتحديات الالهيـة لعموم الثقلـين بمجاراتها، وبشكل مفصَّل وموسَّع، وسنحاول هنا الاشارة المتعجِّلة لما يتصل بها من الاعجاز.

فاعجـاز القـرآن الريم بجوانبه المختلفة شـكَّل قاعـدة صلبة بما يعنيه ذلك منتحـد متعدد الجوانب يتأطر من خلاله، والتي يمكن تلخيصها بالنقاط المختصرة التالية:

١ - الاعجاز من حيث الفصاحة والبلاغة.

٢ - الاعجاز من جانب رقي المعاني ورفعة المحتوى.

٣ - الاعجاز من ناحية انتفاء التعارض والاختلاف.

٤ - الاعجاز من خلال جاذبية هذا القرآن العجيبة.

٥ - الاعجاز من خلال الاخبار بالغيب والحوادث المستقبلية.

٦ - الاعجاز من جهة سعة المعارف التي يتضمنها.

٧ - الاعجاز من جانب القوانين المتقنة والمحكمة التي يحتويها.

ولمـا بقي هذا التحدي الاعجازي قائماً، وثبت انتفـاء المعارضة له، بانت حقيقة هذا الاعجاز، وانه من قبل قوة قادرة حكيمة أُجريت على يد رسول مبارك كريم.

وهذا السـحر الخاص بالقرآن الكريم، وما فيه من الاعجاز هو الذي سـبق له أن اسـتوقف حكماء العرب وبلغاؤهم في قمة التحدي حين نزوله على النبي الاكرمﷺ.

فهـذا الوليد بـن المغيرة المخزومي من شـيوخ قريش وحكـماء العرب والمعروفين، وكان مشـهوراً بحسـن التدبير، ورصانة الفكر، وكانت القبائل والعشـائر العربية تلجأ اليه لحل معضلات مشـاكلها ومنازعاتها، يروى انه لما سـمع بعض آيات القرآن الكريم التي كان يتلوها رسول اللهﷺ قام الى مجلس قومه من بني مخزوم وخاطبهم قائلاً: والله لقد سمعت من محمَّد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن، وان له لحلاوة، وان عليه لطلاوة، وان أعلاه لمثمر، وان أسـفله لمغدق، وانه ليعلو ولا يعلى عليه[٢٨٢].

وأمـا عتبة بـن ربيعة فيخاطـب قومه بعد سـماعه لآيـات مـن الكتـاب العزيز: اني قد سـمعت قـولاً - والله - ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة[٢٨٣].

ولا غـرو في ذلـك، فان أمير المؤمنينعليه السلام وهو سـيِّد البلغـاء والمتكلّمين يصور هـذا الكتاب العزيز بقولـه: نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقُّده، وبحراً لا يدرك قعره، ومنهاجاً لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوؤه، وفرقاناً لا يخمد برهانه، وتبياناً لا تهدم أركانه، وشفاءً لا تخشى أسقامه، وعزاً لا تهزم أنصاره، وحقاً لا تخذل أعوانه.

فهو معدن الايمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافي الاسلام وبنيانه، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لا ينزفه النازفون، وعيون لا ينضبها الماتحوت، ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون.

جعله الله تعالى رياً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحجا لطرق الصلحاء، ودواء ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزاً لمن تولاه، وسلماً لمن دخله، وهدى لمن أئتم به، وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً لمن تلكَّلم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاجَّ به، وحاملاً لمن حمله، ومطية لمن أعمله، وآية لمن توسَّم، وجنة لمن استلام، وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى(٢٨٤).

ولنتأمل في ما أحدثه القرآن الكريم من التأثير والسحر الذي لا يقوم حتى من قبل أركان الشرك وسدنته، بل ومن كبار المؤلِّبين على رسول الله ﷺ ودعوته المباركة.

فمما يرويه ابن هشام عن ابن اسحقا انه حدثه محمد بن مسلم الزهري أنه حدّث: أن أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والاخنس بن شريق(٢٨٥)، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى اذا طلع الفجر تفرَّقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لا وقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا.

حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى اذا طلع الفجر تفرَّقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا.

حتى أذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى اذا طلع الفجر تفرَّقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألاّ نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا(٢٨٦).

وهكذا نرى بوضوح كيف أن القرآن قد سلب ألباب هؤلاء الاجلاف المشركين لليال متتالية بحيث لم يكن بوسعهم الاقدام على شيء، أو حتى التسلل بعيداً عن استماع تلاوته المباركة بلسان أشرف وأطهر وأنبل مخلوق على وجه الارض، الا وهو محمَّد بن عبدالله ﷺ.

الاعجاز العلمي للقرآن

يحوي القرآن الكريم في مطاويه العديد من النماذج الكبرى للاشارات والقواعد العلمية المختلفة

التـي لم يتوصـل اليها العلم الحديث إلاّ في عصور متأخرة، ولعل البعض منها ما لم يتوصل العلم حتى يومنا هذا الى كشف اسرارها، والتعرُّف على حقيقتها.

وعموماً، فان هذا البحث من البحوث التي تستدعي مزيد استدلال ومناقشة، وهذا مما لا يسعنا تحقيقه هنا ضمن هذه الصفحات المحدودة والمختصرة، إلاّ إنّا سنحاول الاشارة الى بعض تلك المفردات بشيء من الاختصار اتماماً للفائدة، وتتميماً للمسار الذي توخيناه عند شروعنا بهذا الكتاب.

١ - فمما أكده القرآن الكريم كون الموجودات المختلفة قد خلقت من عنصرين سالب وموجب، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(٢٨٧)

واذا كانت جملة هذا الحقائق قد توصل اليها العلم الحديث مؤخراً، وبأشكالها التي أشارت اليها الآية الكريمة، كما فعل ذلك لينه استاذ النباتات السويدي في أواسط القرن الثامن عشر الميلادي، فان القرآن الكريم بيَّن هذه الحقيقة قبل أكثر من ستة عشر قرناً حيث الجاهلية والأُمية تطبق بفكيها على أرض الجزيرة ورمالها اللاهبة.

٢ - كما تحدَّث القرآن الكريم أيضاً عن مدارات وحركة الارض، وباقي الكواكب السماوية كما في قوله تعالى: ﴿لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لاَ اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(٢٨٨).

﴿وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ﴾(٢٨٩).

وهذا المبحث من المباحث الكبرى التي كانت موضع أخذ ورد بين العلماء في القرون المتأخرة، ولم يقر لهم قرار إلاّ بعد فترة طويلة، حين أكدها القرآن قبلهم بقرون، وقد تحدَّثنا في كتابنا التوحيد عن الجوانب المختصة بهذا المبحث الهام، فراجع.

٣ - ومن ذلك التصريح بكيفية المدار الطولي لحركة الشمس، وهذا مما تحدّضثنا عنه مفصلاً في كتابنا المتقدِّم، فراجع أيضاً.

وغير ذلك مما لا تستوعبه المجلدات الضخمة، والتي أشرنا الى العديد منه في كتابنا التوحيد أيضاً.

بعض المعجزات الأخرى لرسول الله ﷺ

تذكر كتب السير والتأريخ ظهور الكثير من المعجزات الكبرى على يد رسول الله ﷺ وبشكل متكرر أمام الملأ الكبير من المسلمين، وتناقلها الكثيرون نقلاً مسلَّماً ومتيقناً، والتي يمكن عد البعض منها كما يلي:

لانه ظهرت المعجزة على يده، كالقرآن، وانشقاق القمر، ونبوغ الماء من بين أصابعه، واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل، وتسبيح الحصا في كفه، وهي

١ – مجيء الشجرة اليه ﷺ[٢٩٠].

٢ – نبوغ الماء من بين أصابعه ﷺ[٢٩١].

٣ – حنين الجذع الذي كان يخطب عنده ﷺ[٢٩٢].

٤ – كلام الذئب بصحة دعوته ﷺ[٢٩٣].

٥ – كلام الذراع المسمومة بين يديه ﷺ[٢٩٤].

٦ – اشباعه ﷺ الخلق الكثير من الطعام القليل[٢٩٥].

٧ – رميه كفاً من الحصباء صوب المشركين في معركة بدر ودخولها في أعين جميع المشركين ﷺ[٢٩٦].

٨ – انشقاق القمر أول مبعثه ﷺ[٢٩٧].

٩ – موقفه ﷺ مع سراقة بن جعشم الذي تتبعه حين خروجه مهاجراً الى المدينة المنورة[٢٩٨].

وغير ذلك ممّا تكلّلت بايرادها وشرحها مفصلاً كتب السيرة والتأريخ المختلفة.

الفصل السابع

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الانبياء

من الاعتقادات المهمة واللازمة في بحث النبوة الخاصة مسألة الخاتمية، باعتبار أن محمَّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم هو خاتم الانبياء والمرسَلين عليهم السلام وان لا نبي يأتي بعده، وان شريعته التي جاء بها هي خاتمة الشرائع، والمنهج الذي لا يتبع غيره، ولا يرجع الى سواه.

والخاتمية لغوياً تعني خاتمة الشيء وآخره، وخاتم النبيين أي من ختم النبوة وتممها بمجيئه، وخاتم كل شيء خاتمته وعاقبته وآخره. راجع كتب اللغة المختلفة.

ومسألة الخاتمية بالنسبة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولدعوته من المسائل التي أشار اليها القرآن الكريم في مطاوي آياته المباركة، والتي منها:

١ - قوله تعالى في سورة الاحزاب: ﴿ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللهِّ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كانَ اللهُّ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾(٢٩٩).

٢ - وكذا قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً﴾(٣٠٠).

٣ - وقوله جل اسمه في سورة سبأ: ﴿وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَ نَذِيراً﴾(٣٠١).

٤ - وقوله عز من قائل في سورة الانعام: ﴿وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ﴾(٣٠٢).

٥ - وقوله سبحانه وتعالى في سورة المائدة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً﴾(٣٠٣).

وغيرها من الآيات المباركة الكريمة.

كما ان التصريح بالخاتمية في الروايات المختلفة المنقولة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام كثيرة ومتعددة، يمكننا الاشارة هنا الى البعض منها:

فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: حلالي حلال الى يوم القيامة، وحرامي حرام الى يوم القيامة[٣٠٤].

وقوله صلى الله عليه وآله: مثلي ومثل الانبياء كمثل رجل بني بنياناً فأحسنه وأجمله، فجعل الناس يطيفون به يقولون: ما رأينا بنياناً أحسن من هذا إلاّ هذه اللبنة، فكنت أنا تلك اللبنة[٣٠٦].

وقوله صلى الله عليه وآله: جئت فختمت الانبياء [٣٠٧].

وعن علي عليه السلام: أرسله على حين فترة من الرسل، وتنازع من الالسن، فقفي به الرسل، وختم به الوحي[٣٠٨].

وغير ذلك فراجع.

ولا غرو من القول بان اطلاق حكم الخاتمية على الاسلام يعني وجوب سعة الفكر الاسلامي وكفائته العالية التي تستوعب حالال التجدد والتوسع في حياة المجتمعات البشرية، ليحتويها بقوانينه السماوية، وهذا الامر ما ثبت وجوده في الشريعة الاسلامية الخالدية عقلاً ونقلاً، وبشكل لا يدع مجالاً فيه للاخذ والرد.

كما ان الاسلام بشريعته الخالدة أشار الى اعتماد العقل البشري في جملة من المجالات المختلفة التي سبق لنا التحدُّث عنها في كتابنا العدل، فراجع.

ومن هنا فان مسألة الخاتمية التي أشار اليها المشرِّع الحكيم فيها الكثير من الدلائل العظيمة على كمال الشريعة الاسلامية، وسعة قواعدها ومرتكزاتها الاساسية التي تجعل من هذا الدين مصدر جميع القوانين السماوية التي تدير حياة البشرية بتفرعاتها المختلفة على طول التأريخ، وحتى يوم القيامة.

المحطة الأخيرة

وأخـيراً ونحن نطوي المحطة الاخيرة من كتابنـا هذا فانّ بحثنا المتنقل هذا بين النقاط المضئة للنبة، ومـا يعنيه هذا مـن اختتامها بالنبـي الاكرم محمَّد بن عبدالله ﷺ وبرسـالته الاسـلامية المباركة، يضفي على الاسـلام وشـاحاً رائعاً وزاهـراً لقدرة هذا الدين عـلى احتواء البشرية جمعاء، عـلى طول العصور والدهور، وبكل تعقيداتها ومفارقاتها المتشابكة، حين حكم على ما سبقه من الاديان السالفة بالنسخ لما أصابها من التحريف والتشوية التزييف.

فاذا كانت جميع الاديان السـابقة بأنبيائها ورسـلهاعليهم السلام قد دعت أتباعها والمتديِّنين بها الى اتباع النبي الذي بيَّنته بمواصفاتِهِ وظروف دعوته وشـكلها، والانقياد له وطاعته، فان اعراض الكثير من أولئك الاتباع عن هذا الامر الصريح، يبيِّن بشـكل لا يقبل الشك ما أصاب تلك الاديان من التحريف الذي حـاول صرف أنظـار اتباعه عن الحـق وأهله، كما ويبين في عين الوقت حالـة الابتعاد الكبرى بين تلك الاديان وأتباعها، لاسباب وعلل شتى لا تخفى على الباحثين والدارسين.

ومـن هنـا فـان الامر يتطلب - حتى بالمسـلمين أنفسـهم - المزيد من البحث والدراسـة في أصول القواعـد الاسـلامية المباركـة لادراك الحـق يقينـاً ومعرفته، ولتسـلِّم العقول تسـليماً مطلقـاً للحقائق العظمـى التـي جاء بهـا هذا الدين المبـارك الكبير، وبالتـالي لادراك عظم الفضل الذي جاء به رسـول الله ﷺ وأوقف حياته من أجله، حتى أمست الأُمَّة الاسلامية خير أُمة اُخرجت للناس.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلّى الله على محمَّد وعلى أهل بيته الطيِّبين الطاهرين.

الهوامش

(١) سنتعرض لاحقاً – ان شاء الله تعالى – الى جوانب مختصة بهذا الموضوع من خلال بحثنا في علة بعث الانبياء والرسل الى البشرية من قبل الله تبارك وتعالى، وما هي الاهداف المرجوة والمناطة بهؤلاء المرسلين عليهم السلام فتأمل.

(٢) فمن ذلك قوله تعالى في سورة النساء (الآية ١٦٣ – ١٦٤): ﴿إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ عِيسى وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هارُونَ وَ سُلَيْمانَ وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً * وَ رُسُلاً قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَ كَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً﴾.

(٣) الخصال: ٢١٣.

(٤) آمالي الطوسي: ٣٣٢.

(٥) معاني الاخبار: ٢٣١.

(٦) الملل والنحل: ٢٥٠.

(٧) الاسراء ١٧ : ٨٥.

(٨) على أطلال المذهب المادي ١: ١٣٠.

(٩) الانسان ذلك المجهول: ٤٤.

(١٠) الله يتجلى في عصر العلم: ٣٨.

(١١) الاسلام في عصر العلم: ٢٨٣.

(١٢) القيامة ٧٥ : ١–٢.

(١٣) راجع كتاب الشفاء المقال العاشر الفصل الثاني منه، فقد أورد بحثاً تفصيلاً مفيداً تناول فيه أبعاد هذا الموضوع بالبحث والنقاش.

(١٤) الصافات ٣٧ : ٣٧.

(١٥) الصافات ٣٧ : ٣٨.

(١٦) الاعراف ٧ : ١٥٧.

(١٧) الاعتقادات : ٩٢.

(١٨) أوائل المقاولات : ٦٥.

(١٩) عقائد الامامية : ٢٨.

(٢٠) أصل الشيعة واصولها : ٢٢٠.

(٢١) سنتعرض لاحقاً – باذن الله تعالى – الى الخلاف الواقع بين فرق المسلمين حول وجوب البعثة النبوية وعدمه، فتأمّل.

(٢٢) كشف المراد: ٣٧٣.

(٢٣) راجع كتابنا العدل، دراسة معاصرة فقد تناولنا فيه جوانب موسعة حول موضوع الحسن والقبح والعقليين، وموقف المدارس الاسلامية منه، ورأي الشيعة الامامية في ذلك، فان فيه مزيد تفصيل يساعد على فهم بطلان موقف الاشاعرة هذا.

(٢٤) كشف المراد : ٣٨١.

(٢٥) شرح الباب الحادي عشر: ٣٤.

(٢٦) العصر ١٠٣ : ٢.

(٢٧) العلق ٩٦ : ٦ – ٧.

(٢٨) يوسف ١٢ : ٥٣.

(٢٩) يوسف ١٢ : ١٠٣.

(٣٠) اشارة الى قوله تعالى: ﴿رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ البقرة ٢ : ١٢٩.

(٣١) عقائد الامامية: ٢٩.

(٣٢) الكافي ١ : ١٢٨/ ١.

(٣٣) الكافي ١ : ١٢٨/ ٢.

(٣٤) من شيوخ المعتزلة الكبار، وله صلة ومودة بابي جعفر الدوانيقي.

(٣٥) الكافي ١ : ١٢٩/ ٣.

(٣٦) أوائل المقاولات: ٧٢.

(٣٧) الباب الحادي عشر: ٣٩.

(٣٨) شرح الباب الحادي عشر: ٣٩.

(٣٩) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٣٧٦.

(٤٠) النحل ١٦ : ٦٨ – ٦٩.

(٤١) طه ٢٠ – ١١٤.

(٤٢) الرقان ٢٥ – ٣٢.

(٤٣) الشعراء ٢٦ : ١٩٢ – ١٩٥.

(٤٤) القصص ٢٨ : ٧.

(٤٥) الشورى ٤٢ : ٥١ – ٥٢.

(٤٦) مفردات ألفاظ القرآن: ٥١٥.

(٤٧) لسان العرب ١٥ : ٣٧٩.

(٤٨) العين ٣ : ٣٢٠.

(٤٩) مجمع البحرين ١ : ٤٣٠.

(٥٠) تصحيح الاعتقاد: ١٢٠.

(٥١) من مصاديق الوحي أيضاً الهام الله تعالى بعض مخلوقاته وتوجيهها توجيهاً خاصة، كما ورد ذلك في آيات مختلفة من القرآن الكريم.

فمن ذلك قوله تعالى في سورة القصص (الآية ٧): ﴿وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَ لا تَخافِي وَ لا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

وقوله تعالى أيضاص في سورة النحل (الآية ٦٨): ﴿وَ أَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمَّا يَعْرِشُونَ﴾.

وقوله تبارك وتعالى في سورة طه (الآية ٣٦ – ٣٩): ﴿قالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسى * وَ لَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرى * إِذْ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّكَ ما يُوحى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَ عَدُوٌّ لَهُ﴾.

وقوله جل اسمه في سورة الشمس (الآية ٧ – ٨): ﴿وَ نَفْسٍ وَ ما سَوَّاها * فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها﴾.

(٥٢) الصافات ٣٧: ١٠١ – ١٠٥.

(٥٣) القصص ٢٨ : ٣٠.

(٥٤) الشعراء ٢٦: ١٩٢ – ١٩٥.

(٥٥) هود ١١: ٦٩ – ٧٠.

(٥٦) هود ١١: ٧٧ – ٨٣.

(٥٧) مجمع البيان في تفسير القرآن ٥ : ٣٧.

(٥٨) القصص ٢٨ : ٧.

(٥٩) النحل ١٦ : ٦٨.

(٦٠) الانعام ٦ : ١٢١.

(٦١) مريم ١٩ : ١١.

(٦٢) تصحيح الاعتقاد: ١٢٠.

(٦٣) مناقب ابن شهر آشوب.

(٦٤) الشورى ٤٢ : ٥٢.

(٦٥) الشورى ٤٢ : ٥٢.

(٦٦) الكافي ١: ٢١٤/١.

(٦٧) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

(٦٨) تصحيح الاعتقاد: ١٢٢.

(٦٩) النساء ٤ : ٩٥.

(٧٠) بحار الأنوار ١٨: ٢٦٣/ ٢٠.

(٧١) المحاسن: ١٨٧.

(٧٢) مناقب ابن شهر آشوب ١: ١٢٥.

(٧٣) علل الشرائع: ٢٣١.

(٧٤) بحار الأنوار ٣٧: ٣٢٢/ ٥٤.

(٧٥) كشف المراد: ٣٧٧.

(٧٦) علل الشرائع: ١٦٥.

(٧٧) مجمع البحرين ٤: ٢٤.

(٧٨) مفردات ألفاظ القرآن: ٣٢٢.

(٧٩) لسان العرب ٥ : ٣٦٩.

(٨٠) سنتناول بعض أبعاد هذا البحث في مباحثنا القادمة باذن الله تعالى، فتأمّل.

(٨١) الانبياء ٢١ : ٦٨.

(٨٢) الانبياء ٢١ : ٦٩ – ٧٠.

(٨٣) الاعراف ٧: ١٠٤ – ١٠٨.

(٨٤) الاعراف ٧: ٧٣.

(٨٥) القصص ٢٨: ٢٩ – ٣٢.

(٨٦) آل عمران ٣: ٤٥ – ٤٩.

(٨٧) وفي سورة طه (الآية ٦٥ – ٦٩): ﴿قالُوا يا مُوسى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقى * قالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذا حِبالُهُمْ وَ عِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى * قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلى * وَ أَلْقِ ما فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا إِنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ وَ لا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتى﴾.

(٨٨) الآيات من سورة الشعراء ٢٦: ٣٩ – ٥١.

(٨٩) مجمع البيان ٤: ٤٦٠.

(٩٠) آلا عمران ٣: ٥٢ – ٥٣.

(٩١) الصف ٦١: ١٤.

(٩٢) علل الشرائع: ٨٠/ ١.

(٩٣) الفتح ٤٨ : ٢٩.

(٩٤) مجمع البيان ٢ : ٤٤٧.

(٩٥) المائدة ٥: ١١٢ – ١١٥.

(٩٦) البقرة ٢: ٢٦٠.

(٩٧) المائدة ٥ : ١١٨.

(٩٨) الحش: الكنيف وموضع قضاء الحاجة، وأصله من الحش بمعنى البستان، لانهم كانوا كثيراص ما يتغوطون في البساتين.

(٩٩) انظر مجمع البيان ٣ : ٢٦٤ – ٢٦٧.

(١٠٠) هي الآن جزء من تركيا كما هو معلوم.

(١٠١) في بعض الروايات ان الله تعالى هو الذي أرسلهم مباشرة الى أهل انطاكية، وليس بواسطة نبيه الكريم عيسى بن مريم‏عليه السلام.

(١٠٢) في بعض الروايات أن شمعون قصد باب الملك وخاطب حرسه بانه رجل متعبِّد في فلاة الارض، وانه يريد أن يعبد اله الملك وربه، فلما رقي خبره الى الملك أمر بادخاله بيت الاصنام، فبقي فيه يعبد الله تعالى سنة كاملة، موهماً الملك وأتباعه بأنه يعبد الاصنام التي كانت تزين هذا البيت الكبير.

(١٠٣) وفي بعض الروايات أن شمعون بعد دخوله بيت الالهة الخاص بالملك، واعتكافه فيه لسنة كاملة، استدعاه الملك وقرَّبه منه واصطفاه.

(١٠٤) أي شمعون.

(١٠٥) أي شمعون الوصي كما تقدَّم.

(١٠٦) تفسير الصافي ٤ : ٢٤٧.

(١٠٧) قال تبارك وتعالى في سورة الاسراء (الآية ٨٨): ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾.

(١٠٨) قال الله عز شأنه في سورة هود (الآية ١٣): ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾.

(١٠٩) قال الله جلَّ شأنه في سورة البقرة (الآية ٢٣): ﴿وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾.

وقال عزَّ من قائل في سورة يونس (الآية ٣٨): ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾.

(١١٠) بحار الانوار ٢٥ : ١٥٤.

(١١١) مفردات ألفاظ القرآن: ٣٣٦.

(١١٢) أصحاب أبي راشد نافع بن الازرق الذين خرجوا مع نافع من البصرة الى الاهواز، فغلبوا عليها وعلى كورها، وما وراءها من بلدان فارس وكرمان في أيم عبدالله بن الزبير، وقتلوا عماله بهذه النواحي.

كانوا أكثر فرق الخوارج عدداً، وأشدهم شوكة.

مات نافع بن الازرق عام ٦٠ هـ.

انظر: الملل والنحل ١ : ١١٨ ، الفرق بين الفرق: ٥٠.

(١١٣) محمد بن الطيب الباقلاني البصري المتكلِّم، توفي عام ٤٠٣ هـ.

(١١٤) قال الشيخ الصدوق رحمه الله في الفقيه (١ : ٣٤٥): وليس سهو النبي ﷺ كسهونا، لان سهوه من الله عز وجل، وأنما هو اسهاء ليعلم انه بشر مخلوق فلا يُتخذ رباً معبوداً دونه، وليعمِّم الناس بسهوه حكم متى يسهوا.

وسهونا عن الشيطان، وليس للشيطان على النبي ﷺ والائمة ﷺ سلطان ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ وعلى من تبعه من الغاوين.

(١١٥) بحار الانوار ١١ : ٨٩.

(١١٦) لعل من الامثلة الواردة حول هذا الموضوع ما رواه ابن ابي عمير عن هشام بن الحكم حول موضوع عصمة الامام ﷺ نورده هنا استدلالاً وتوضيحاً واتماماً للفائدة.

قال ابن ابي عمير: ما سمعت ولا استفدت من هشام بن الحكم في طول صحبتي إيّاه شيئاً أحسن من هذا الكلام في صفة عصمة الامام، فاني سألته يوماً عن الامام أهو معصوم؟

قال: نعم.

قلت له: فما صفة العصمة فيه؟ وبأي شيء تعرف؟

قال: ان جميع الذنوب لها أربعة أوجه لا خامس لها: الحرص، والحسد، والغضب، والشهوة، فهذه منفية عنه.

(١١٧) يقول العلاّمة السيد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله في الميزان (١١ : ١٦٣) : ان هذا العلم يخالف سائر العلوم في أن أثره العملي - وهو صرف الانسان عما لا ينبغي الى ما ينبغي - قطعي غير متخلِّف دائماً، بخلاف سائر العلوم، فان الصرف فيها أكثري غير دائم.

(١١٨) خطبته ﷺ المتعرِّضة لاوصاف المتقين.

(١١٩) كشف المراد : ٣٧٥.

(١٢٠) عقائد الامامية: ٣٣.

(١٢١) شرح الباب الحادي عشر: ٣٧.

(١٢٢) تنزيه الانبياء: ٢٥.

(١٢٣) البقرة ٢ : ١٢٤.

(١٢٤) روح البيان ١ : ٣٣٨.

(١٢٥) الاحزاب ٣٣ : ٢١.

(١٢٦) النجم ٥٣: ٣ - ٤.

(١٢٧) الحشر ٥٩ : ٧.

(١٢٨) احقاق الحق ١٣ : ٧٨.

(١٢٩) طه ٢٠ : ١٢١.

(١٣٠) الانبياء ٢١ : ٨٧.

(١٣١) يوسف ١٢ : ٢٤.

(١٣٢) ص ٣٨ : ٢٤.

(١٣٣) الاحزاب ٣٣ : ٣٧

(١٣٤) آل عمران ٣ : ٧.

(١٣٥) عيون أخبار الامام الرضاﷺ ١ : ١٩١ ، أمالي الصدوق : ٥٥.

(١٣٦) بحار الانوار ١٠ : ٢٢٧/ ١.

(١٣٧) عيون أخبار الرضا ١: ٢٦٧.

(١٣٨) بحار الانوار ١٠ : ١٧٠.

(١٣٩) النساء ٤: ١٦٥.

(١٤٠) المائدة ٥: ١٩.

(١٤١) الملك ٦٧: ٨ – ٩.

(١٤٢) يونس ١٠ : ٣٥.

(١٤٣) السجدة ٣٢ : ١٨.

(١٤٤) يونس ١٠ : ٣٥.

(١٤٥) شرح الباب الحادي عشر : ٣٨.

(١٤٦) أمالي الصدوق: ٣٥٤.

(١٤٧) بحار الانوار ٧٨: ٢٥٩.

(١٤٨) الغدير ٧ : ١٧٨ ، عن كتاب المجتنى لابن دريد: ٣٥.

(١٤٩) بحار الانوار ١٠ : ٥٢.

(١٥٠) الكافي ١: ١٣٥/ ٣.

(١٥١) الكافي ١: ١٣٤/ ٢.

(١٥٢) الحقاف ٤٦: ٣٥.

(١٥٣) المفردات في غريب القرآن: ٣٣٤.

(١٥٤) الاحقاف ٤٦: ٣٥.

(١٥٥) تفسير القمي ٢:٣٠٠.

(١٥٦) اقبال الاعمال: ٧١٠.

(١٥٧) فقد روى بعض العامة الى ان أُولي العزم ستة، هم: نوح، وابراهيم، واسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب.

وقيل: هم الذين أُمروا بالجهاد والقتال، وأظهروا المكاشفة، وجاهدوا في الدين.

وقيل: هم أربعة: ابراهيم، ونوح، وهود، ورابعهم محمدﷺ.

(١٥٨) الدر المنثور ٦: ٤٥.

(١٥٩) الخصال: ٣٠٠/ ٧٣.

(١٦٠) قال الله تبارك وتعالى في سورة الاحزاب (الآية ٤٠): ﴿ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾.

(١٦١) عيون أخبار الرضاعليه السلام: ٢: ٨٠/ ١٣.

(١٦٢) الاحقاف ٤٦: ٣٥.

(١٦٣) قصص الانبياء: ٢٢٥.

(١٦٤) بصائر الدرجات: ١٨٦.

(١٦٥) الاختصاص: ٤١٥.

(١٦٦) الكافي ١: ١٣٤/ ٣.

(١٦٧) الاحقاف ٤٦: ٣٥.

(١٦٨) الكافي ٢: ١٤/ ٢.

(١٦٩) الاحقاف ٤٦: ٣٥.

(١٧٠) الاحزاب ٣٣: ٧.

(١٧١) الشوري ٤٢: ١٣.

(١٧٢) آل عمران ٣: ٢١ – ٢٢.

(١٧٣) تفسير الصافي ١: ٣٠٠.

(١٧٤) راجع قصص الانبياء المختلفة فقد تعرَّضت بأشكال موسَّعة لهذا الامر.

(١٧٥) تظهر بعض الروايات المنقولة ان بين الاثنينعليهما السلام عشرة من الآباء، كان جميعهم من الانبياء والاوصياء.

(١٧٦) قصص الانبياء لابن كثير: ١٠٤.

(١٧٧) علل الشرائع: ١٨٧.

(١٧٨) معني الاخبار: ٢٩٠.

(١٧٩) علل الشرائع: ١٨٣.

(١٨٠) تأريخ حبيب السير ١: ٢٩.

(١٨١) قصص الانبياء للرواندي: ٢١٨.

(١٨٢) هود ١١: ٢٥ – ٤٩.

(١٨٣) كسورة الاعراف الآيات ٥٩ – ٦٤، يونس الآيات ٧١ – ٧٣، الانبياء الآيات ٧٦ – ٧٧، المؤمنون الآيات ٢٣ – ٣٠، الشعراء الآيات ١٠٥ – ١٢٢، الصافات الآيات ٧٥ – ٨٢، العنكبوت الآيات ١٤ – ١٥، القمر البيات ٥٩ – ٦٤، وغيرها.

(١٨٤) الاسراء ١٧: ٣.

(١٨٥) مجمع البيان ٦: ٣٩٦.
(١٨٦) علل الشرائع: ٣١٥.
(١٨٧) تفسير القمي ٢: ٢١٧.
(١٨٨) عيون أخبار الامام الرضاؑ ٢: ٤٥/ ١٦٤.
(١٨٩) العنكبوت ٢٩: ١٤.
(١٩٠) روي عن الامام الصادقؑ ان قال: كانت أعمار قوم نوح ثلاثمائة سنة.
(١٩١) قصص الانبياء للراوندي: ١٨٧.
(١٩٢) قال تعالى مخاطباً نبيه نوح في سورة هود (الآية ٣٦): ﴿وَ أُوحِيَ إِلى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ﴾.
(١٩٣) قال جل من قائل في سورة هود (الآية ٤٠): ﴿حَتَّى إِذا جاءَ أَمْرُنا وَ فارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَ مَنْ آمَنَ وَ ما آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾.
واختلف المفسرون في معنى التنور على أقوال:
أولها: انه تنور الخابزة، وأنه تنور كان لآدمؑ فار الماء عنه علامة لنوحؑ اذ نبع الماء من موضع غير معهود خروجه منه، عن ابن عباس والحسن ومجاهد.
ثم اختلف في ذلك فقال قوم: ان التنور كان في دار نوحؑ بعين وردة من أرض الشام.
وقال قوم: بل كان ناحية الكوفة، وهو المروي عن أئمتناؑ.
وثانيها: ان التنور وجه الارض، عن ابن عباس وعكرمة والزهري، واختاره الزجّاج.
وثالثها: ان معنى قوله تعالى: (وفار التنور) طلع الفجر وظهرت أمارات دخول النهار وتفضّي الليل، من قولهم: نوَّر الصبح تنويراً، روي ذلك عن عليؑ.
ورابعها: ان التنور أعلى الارض وأشرفها، والمعنى: نبع الماء من الامكنة المرتفعة، فشبِّه بالتنانير لعلوها، عن قتادة.
وخامسها: ان فار التنور الطيس: اذا اشتدت الحرب. (انظر مجمع البيان في تفسيره لهذه الآية المباركة).
(١٩٤) نوح ٧١: ٢ – ٤.
(١٩٥) نوح ٧١: ٨ – ٢٠.
(١٩٦) نوح ٧١: ٧.
(١٩٧) التحرم ٦٦: ١٠.
(١٩٨) مكارم الاخلاف: ١٨٧.
(١٩٩) قصصالانبياء لعبدالوهاب النجار: ٧٠.
(٢٠٠) قال الفيروزآبادي: كوثي قرية بالعراق، وريا موضع.
وقال الحموي: كوثي بالعراق في موضعين، كوثي الطريق، وكوثي ربا، وبها مشهد ابراهيم الخليلؑ وهما

قريتان وبينهما تلول من رماد يقال: انها رماد النار التي أوقدها نمرود لاحراقه.

(٢٠١) الكافي ١ : ٢٠٤.

(٢٠٢) وقيل أيضاً: انه وجد ذلك في كتب الانبياء السابقين ﷺ وقيل: انه رأي كأن كوكباً طلع فذهب ضوء الشمس والقمر، فسأل عن ذلك فعبِّر بانه يولد غلام يذهب ملكه على يده.

(٢٠٣) بحار الانوار ١٢: ١٩ – ٢٩

(٢٠٤) مريم ١٩ : ٤١ – ٤٥.

(٢٠٥) الانعام ٦ : ٧٤ – ٧٩.

(٢٠٦) بحار الانوار ١٢: ٥٣.

(٢٠٧) الشعراء ٢٦: ٦٩ – ٨٢.

(٢٠٨) الانبياء ٢١: ٥١ – ٦٧.

(٢٠٩) الصافات ٣٧: ٩١ – ٩٦.

(٢١٠) الانبياء ٢١: ٦٨ – ٧٠.

(٢١١) الصافات ٣٧: ٩٧ – ٩٨.

(٢١٢) الانبياء ٢١ : ٦٩.

(٢١٣) قصص الانبياء للراوندي: ٤١٨.

(٢١٤) تنزيه الانبياء ٢٤.

(٢١٥) يوسف ١٢: ٧٠

(٢١٦) الانبياء ٢١: ٦٣

(٢١٧) التبختر والتباهي

(٢١٨) بحار الانوار ١٢ : ٥٤.

(٢١٩) قال تعالى: ﴿وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

(٢٢٠) النحل ١٦: ١٢٠ – ١٢٣.

(٢٢١) الانعام ٦: ٧٥.

(٢٢٢) بحار الانوار ١٢: ٦١.

(٢٢٣) البقرة ٢: ١٢٧ – ١٢٨.

(٢٢٤) البقرة ٢: ٢٦٠.

(٢٢٥) قصص الانبياء لابن كثير ٢ : ٣.

(٢٢٦) تأريخ الانبياء لابن كثير ١ : ٨.

(٢٢٧) ورد اسمه ﷺ ١٣٤ مرة في القرآن الكريم.

(٢٢٨) الكافي ١ : ٤٧٩.

(٢٢٩) لا يخفى على القارىء الكريم أن عمران هذا ليس والد موسىﷺ حيث كانت تفصل بينهما ١٨٠٠ عام كما هو معروف.

(٢٣٠) عيسى أسم معرب أصله يسوع أويشوع، ومعناه المنقذ.

(٢٣١) مريم ١٩ : ١٦ – ٣٣.

(٢٣٢) قصص الانبياء للجزائري: ٤٠٨.

(٢٣٣) آل عمران ٣: ٥٤ – ٥٥.

(٢٣٤) النساء ٤: ١٥٧ – ١٥٨.

(٢٣٥) انظر: مناقب ابن شهر آشوب ١: ١٥٤ ، سيرة ابن هشام ١ : ١ ، طبقات ابن سعد ١ : ٥٥ ، تأريخ الطبري ٢ : ٢٧١.

(٢٣٦) قصص الانبياء للراوندي: ٣١٦/ ٣٩٤ ، مناقب ابن شهر آشوب ١: ١٥٥، الطبقات الكبرى ١ : ٥٦.

(٢٣٧) مناقب ابن شهر آشوب ١ : ١٥٥ ، مروج الذهب ٣: ٥ / ١٤٤٢.

(٢٣٨) انظر المصادر المتقدِّمة.

(٢٣٩) الحديد ٥٧: ٩.

(٢٤٠) ابراهيم ١٤: ١.

(٢٤١) ابراهيم ١٤: ٥.

(٢٤٢) النساء ٤: ١٦٥.

(٢٤٣) البقرة ٢: ٢١٣.

(٢٤٤) الاعراف ٧: ١٥٧.

(٢٤٥) الحديد ٥٧: ٢٥.

(٢٤٦) الاعراف ٧: ١٥٧.

(٢٤٧) آل عمران ٣: ١٦٤.

(٢٤٨) البقرة ٢: ١٢٨ – ١٢٩.

(٢٤٩) الجمعة ٦٢: ٢.

(٢٥٠) النحل ١٦: ٣٦.

(٢٥١) الكافي ١: ١٣.

(٢٥٢) بحار الانوار ١٦: ٢١٠.

(٢٥٣) الاعراف ٧: ١٥٧.

(٢٥٤) البقرة ٢: ١٤٦.

(٢٥٥) الصف ٦١: ٦.

(٢٥٦) البقرة ٢: ١٢٩.

(٢٥٧) انجيل يوحنا: الاصحاح الرابع عشر، السطر الخامس عشر.

(٢٥٨) انجيل يوحنا: الاصحاح السادس عشر، السطر الثاني عشر.

(٢٥٩) انجيل يوحنا: الاصحاح الرابع عشر، السطر الخامس والعشرون.

(٢٦٠) الزجر: العيافة، وهو نوع من التكهُّن.

(٢٦١) اضطرب وتزلزل مصحوب بصوت شديد.

(٢٦٢) قلَّ ماؤها ونضب.

(٢٦٣) كلمة فارسية يراد بها الفقيه والحاكم المجوسي.

(٢٦٤) قال العلاّمة المجلسي رحمه الله: وانخرفت عليه دجلة العوراء: ان كسرى كان سكر (أي جعل وأقام سداً) بعض الدجلة، وبنى عليها بناء، فلعله لذلك وصفوا الدجلة بعد ذلك بالعوراء لانه عور وطم بعضها فانخرقت عليه وانهدم بنيانه.

(٢٦٥) أمالي الصدوق: ١٧١.

(٢٦٦) نهج البلاغة ١٣: ١٩٧.

(٢٦٧) كهف صغير في أعلى جبل حراء يبعد ستة كيلوا مترات شمال شرق مكة المكرَّمة.

(٢٦٨) أنظر تفسير الميزان ٢٠ : ٣٢٧.

(٢٦٩) العلق ٩٦: ١ – ٥.

(٢٧٠) المدثر ٧٤: ١ – ٧.

(٢٧١) الحجر ١٥: ٩٤ – ٩٩.

(٢٧٢) الشعراء ٢٦: ٢١٤.

(٢٧٣) تأريخ الطبري ٢: ٢١٧، الكامل في التأريخ ٢: ٦٢، معالم التنزيل ٤: ٢٧٨، ترجمة الامام علي‌عليه‌السلام من تأريخ دمشق ١: ١٣٩.

(٢٧٤) فمن صحابة رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله الذين تعرَّضوا للاذى والتنكيل الشديد بأيدي أزلام قريش وساداتها المنحرفين: بلال الحبشي، وعمار بن ياسر، وأبواه اللذان ماتا في التعذيب، وخبّاب بن الارت، وصهيب بن سنان، وعامر بن فهيرة، وأبو فكيهة، وغيرهم.
ولما رأى رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله ما أصاب أصحابه من الاذى والتنكيل أمرهم بالهجرة الى الحبشة، والالحاق بملكها الذي لا يظلم عنده أحد، فهاجروا وبقوا هناك بعيداً عن أذى قريش ومكرها، وما حاولت جاهدة من السعي لاعادتهم الى أرضها.

(٢٧٥) الكامل في التأريخ ٢: ٩١.

(٢٧٦) لقد سبق وفاة عم رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله بثلاثة أيام وفاة زوجته الوفية المجاهدة خديجة بنت خويلد رضوان الله تعالى عليها، وذلك في شهر رمضان من السنة العاشرة للبعثة النبوية المباركة، فكان بحق ذلك العام عام الحزن

على رسول الله ﷺ بلا شك.

(٢٧٧) خرج رسول الله ﷺ في ليلة تنفيذ المؤامرة الخبيثة لقتله بعد أن ترك أخيه وابن عمه علي بن ابي طالب ؑ في فراشه موهماً قريش بان بغيتهم لم تزل في مكانها، فضرب علي ؑ في ذلك الموقف أروع الامثلة في الفداء والتضحية لما يشكّله ذلك من مخاطر قتله أو تعرضه للاذى بأيدي مشركي قريش الذين بلغ بهم الحقد والغضب مبلغاً كبيراً.

(٢٧٨) كان ذلك في بيعة العقبة حيث قدم وفد من ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين سراً الى مكة المكرَّمة والتقوا فيها برسول الله ﷺ مبايعينه على السمع والطاعة، وان يتولوا حمايته والدفاع عنه عن دعوته المباركة.

(٢٧٩) راجع: مغازي الواقدي ١ : ٧ ، طبقات ابن سعد ٢ : ٥ ، وغيرهما.

(٢٨٠) أنظر: مغازي الواقدي ١ : ٩، سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٥، طبقات ابن سعد ٢:٦.

(٢٨١) الباب الحادي عشر: ٣٥.

(٢٨٢) انظر مجمع البيان ٣: ٣٨١، نور الثقلين ٣: ٧٨.

(٢٨٣) سيرة ابن هشام ١: ٢٩٣.

(٢٨٤) نهج البلاغة ١٠: ١٩٤.

(٢٨٥) وهم من رؤوس قريش وساداتها، ومن علام الشرك الكبري فيها.

(٢٨٦) سيرة ابن هشام ١: ٣٣٧.

(٢٨٧) الذاريات ٥١: ٤٩.

(٢٨٨) ليس ٣٦: ٤٠.

(٢٨٩) النمل ٢٧: ٨٨.

(٢٩٠) روي عن أمير المؤمنين علي ؑ انه ذكر بان جماعة من قريش أتوا رسول الله ﷺ وسألوه لاثبات صدق نبوته أن يطلب من شجرة كانت منتصبة أمامهم أن تنقلع بعروقها وتقف بين يديه، ولما حدث ذلك أمام أعينهم سألوه أن يأمرها بان يأتي نصفها ويبقى الآخر في محله، فكان ذلك أيضاً أمام أنظارهم.
أنظر: نهج البلاغة ٢: ١٨٣ / ذيل الخطبة ١٨٧.

(٢٩١) روي أن جماعة خرجوا مع رسول الله ﷺ في سفر فشكوا أن لا ماء معهم، وانهم بعرض التلف وسبيل العطب، فدعا ﷺ بركوة فصب فيها الماء – وكان لا يروي رجلاً ضعيفاً– وجعل يده في الماء فنبع الماء من بين أصابعه، فأقبل الجميع يشربون – وكان عددهم كثيراً جداً – وهو يقول: أشهد اني رسول الله حقاً.
انظر: صحيح البخاري ٤: ٢٣٤، الانوار في شمائل النبي المختار ١ : ١٠٥، كشف الغمة ١: ٢٣.

(٢٩٢) وهو جذع كان يخطب عنده رسول الله ﷺ ويستند اليه في مسجده بالمدينة المنورة، فلما كثر الناس اتخذوا له ﷺ منبراً، فلما رقى المنبر حن الجذع حنين الناقة حين فقدت ولدها، فنزل رسول الله ﷺ فضمه اليه، فكان يئن أنين الصبي الذي يُسكت.
انظر: مناقب ابن شهر آشوب ١ : ٩٠، كشف الغمة ١ : ٢٤ ، صحيح البخاري ٤ : ٢٣٧ ، دلائل النبوة

للبيهقي ٢: ٥٥٦ ، الانوار في شمائل النبي المختار ١: ١٣٤ .

(٢٩٣) روي أن ذئباً أخذ شاة من قطيع لرجل، فأخذ هذا الرجل يعدوا خلفه، فالتفت اليه الذئب وخاطبه: تمنعني رزقاً ساقه الله تعالى اليَّ؟ فلما تعجب الرجل من كلام الذئب خاطبه ذلك الذئب بان العجب هو حالهم لا حاله، لانهم لاهون عن دعوة محمَّد بن عبدالله ﷺ وهو يدعوهم الى الحق.

انظر: أمالي الطوسي ١: ١٢ ، كشف الغمة ٣: ٢٧ ، مسند أحمد ٣: ٨٣، دلائل النبوة للبيهقي ٦: ٤١ ، دلائل النبوة للاصفهاني ٢: ٤٨٢ .

(٢٩٤) روي أنه ﷺ أُتي بشاة أهدتها له امرأة من اليهود بخيبر، وكانت تلك المرأة قد أكثرت من سمَّ ذراع الشاة لما علمت انه ﷺ يحب أكل الذراع، فلما دعا ﷺ أصحابه للطعام ووضع يده رفعها وطلب من أصحابه أن يرفعوا الشاة لان دراعها يخبره بانها مسمومة.

انظر: كنز الفوائد ١: ١٧٣ ، مناقب ابن شهر آشوب ١ : ٩١ ، كشف العمة ١ : ٢٧ ، دلائل النبوة للبيهقي ٤: ٢٥٩.

(٢٩٥) روي أن أصحابه ﷺ أُرملوا وضاقت بهم الحال، وصاروا بمعرض الهلاك لفناء الازواد يوم الاحزاب، فدعاه رجل من أصحابه الى طعام قليل – لا يكفي إلاّ رجلاً واحداً – فلحقه جماعة من المسلمين، فأمر ﷺ بأن يغطى الاناء، ثم دعا وسأل الله تعالى البركة فيه، ولما انتهى قام ﷺ بتقديمه الى الناس وكانوا أعداداً كثيرة جداً، فأكلوا وصدروا كأن لم يسبغوا قط شباعاً، والطعام على حاله.

انظر: مناقب ابن شهر آشوب ١: ١٠٣ ، دلائل النبوة للبيهقي ٣: ٤٤٣ .

(٢٩٦) فقد روي أنه ﷺ رماها وهو يقول: شاهت الوجوه.

انظر: كنز الفوائد ١: ١٦٩ ، سيرة ابن هشام ٢: ٢٨٠ ، دلائل النبوة للاصفهاني ٢: ٦٠٤ ، دلائل النبوة للبيهقي ٣: ٨١ ، الكامل في التأريخ ٢: ١٢٦ .

(٢٩٧) فقد ثبت أن القمر انشق له نصفين بمكة أول مبعثه.

انظر صحيح البخاري ٦: ٢٧٨ ، دلائل النبوة للاصفهاني ١ : ٣٧٠ ، دلائل النبوة للبيهقي ٢: ٢٦٦ ، الوفا بأحوال المصطفى ١: ٢٧٣ ، صفة الصفوة ١: ٩١ .

(٢٩٨) فقد روي أن سراقة لما أمكنته الفرصة من رسول الله ﷺ وأيقن أنه قد ظفر ببغيته ساخت قوائم فرسه حتى تغيَّت بأجمعها في الأرض، وهو بموضع حجدب وقاع صفصف، فدرك أن ما حل به أمر سماوي فتوسل برسول الله ﷺ أن يسأل الله تعالى اطلاقه من أسره هذا، وأنه لن يعاود ما فعل مرة أُخرى، فكان ذلك.

انظر: الكافي ٨: ٢٦٣/ ٣٧٨ ، مناقب ابن شهر آشوب ١: ٧١ ، كشف الغمة ١: ٢٥ ، دلائل النبوة للاصفهاني ٢: ٤٢٦ ، أُسد الغابة ٢: ٢٦٤ ، الكامل في التأريخ ٢: ١٠٥ ، البداية والنهاية ٣: ١٨٥ .

(٢٩٩) الاحزاب ٣٣: ٤٠.

(٣٠٠) الفرقان ٢٥: ١.

(٣٠١) سبأ ٣٤ : ٢٨.

(٣٠٢) الانعام ٦: ١١٥.

(٣٠٣) المائدة ٥: ٣.

(٣٠٤) بحار الأنوار ٢: ٢٦٠

(٣٠٥) صحيح البخاري ٥: ٨٩/ ٢٠٢، صحيح مسلم ٤: ١٨٧/ ٢٤٠٤، سنن الترمذي ٥: ٣٧٣٠، مسند أحمد ١: ١٧٣، ١٧٥، ١٨٢، ١٨٤، مستدرك الحاكم ٢: ٣٣٧، تأريخ بغداد ٤: ٢٠٤.

(٣٠٦) صحيح مسلم ٤: ١٧٩٠.

(٣٠٧) صحيح مسلم ٤: ١٧٩٠.

(٣٠٨) نهج البلاغة، الخطبة ١٣٣.

الفهرس الموضوعي

الباب الاول
التعريف بالنبوة، وعلة بعث الانبياء، والحاجة اليهم
١٣

الباب الثاني
خصائص الأنبياء وأهدافهم
٤٧

الباب الثالث
الأنبياء أولو العزم
٩١

الباب الرابع
النبوة الخاصة وبحوث حول النبي الأكرم محمَّد بن عبدالله ﷺ
١٢٣

الفهرس الموضوعي
١٦٧

مؤلفات السيّد الدّيباجيّ الالكترونية

١ - سيماء الأولياء وكراماتهم (ج٢)
٢ - حقوق الإنسان في الإسلام
٣ - حقوق المرأة في الإسلام
٤ - السيدة خديجةؑ: مقاومة، إيثار، أسطورة
٥ - نفحات الرحمن في منازل العرفان (ج١)
٦ - نفحات الرحمن في منازل العرفان (ج٢)
٧ - القصص القرآنية (ج١)
٨ - القصص القرآنية (ج٢)
٩ - القصص القرآنية (ج٣)
١٠ - القصص القرآنية (ج٤)
١١ - القصص القرآنية (ج٥)
١٢ - التوحيد، دراسة معاصرة، الحلقة الأولى من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٣ - النبوة، دراسة معاصرة، الحلقة الثانية من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٤ - العدل، دراسة معاصرة، الحلقة الثالثة من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٥ - الإمامة، دراسة معاصرة، الحلقة الرابعة من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٦ - المعاد يوم القيامة، دراسة معاصرة، الحلقة الخامسة من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٧ - منتقى الدرر في سيرة المعصومين الأربعة عشرؑ (ج١)
١٨ - منتقى الدرر سيرة المعصومين الأربعة عشرؑ (ج٢)
١٩ - منتقى الدرر سيرة المعصومين الأربعة عشرؑ (ج٣)
٢٠ - الفتنة العظمى، سلسلة دراسات تأريخية
٢١ - مظاهر الفرقة بين المسلمين وعلاجها
٢٢ - الإمام المهديؑ: الحقيقة المنتظرة
٢٣ - حوار حول الإمام المهدي (عج)
٢٤ - العباس بن عليؑ بطل النهضة الحسينية
٢٥ - زينب الكبرىؑ: بطلة الحرية
٢٦ - الحج: أحكاماً وفلسفة ودعاء
٢٧ - أجوبتنا على مسائلكم الدينية
٢٨ - رسالة عقائدية (ردّ على كتاب الشيعة والتصحيح للدكتور الموسوي)
٢٩ - الروضة المنتخبة
٣٠ - أجود المناظرات (تحت إشراف المؤلف)
٣١ - القصص الهادفة من سيرة المعصومين الأربعة عشر
٣٢ - أنصار الإمام الحسينؑ
٣٣ - فضائل ومناقب عليؑ وفاطمةؑ في مسانيد أهل السنة (ج١)
٣٤ - فضائل ومناقب عليؑ وفاطمةؑ في مسانيد أهل السنة (ج٢)
٣٥ - قصص المثنوي
٣٦ - خطر الأفيون
٣٧ - زيارة الإمام الرضا سلام الله عليه